3me Année, No. 130.

Lundi-30-12-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٥٤ — ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــــدد

أبو الطيب المتنبي

بمناسبة ذكراه الألف

— ٢ —

وُلد أبو الطيب فى دُرور القرن الرابع عظيما بالاستعداد، قويا بالنشأة، طموحا بالفطرة؛ فلا نحاول أن نرجع هذه الصفات فيه إلى أحوال داعية وأسباب موجبة، فان إعجاز القدرة أن يُولد الملك فى حجر السوقة، ويدرج العبقرى فى عش القدم، ويظهر النبي فى بيت المشرك؛ إنما العظمة خِلقةٌ فى العظيم، تقويها عوامل وتضعفها عوامل؛ فولادة المتنبي بالكوفة، وتجوله فى البادية، وتنقله فى القبائل، وكدحه الدائب أربعاً وثلاثين سنة وراء الرزق الشرود، يضرب من أفق إلى أفق، ويخرج من هول إلى هول، نمّت فيه أخلاق الجرأة والصراحة والصدق والصبر والمثابرة والتّسَنّن؛ واتصاله بسيف الدولة الأديب الشجاع السَّمْح، هذب فيه الشاعرية والفروسية، وهما غريزتا البداوة، وخصيصتا المروءة؛ ثم ظهوره فى العصر الذى تحللت فيه روابط الخلافة، وتعددت حواضر الأدب، وتطاولت

كفايات السيف والقلم إلى العروش المقدسة والمناصب الفخمة ، وأثر تداخل الثقافات المختلفة ما أثمر من شمول العلم ، ونضوج العقل ، واعتراض الشكوك ، وتعدد الفرق ، وسع فى ذهنه أفق المعرفة ، وقوى فى نفسه الطموح إلى الرياسة ، وهيج فى رأسه الثورة على القدر ، وأراه بعض الكتاب فى بغداد يصل بالأدب إلى الوزارة ، وبعض العبيد فى مصر يصل بالحيلة إلى الامارة ، فطوّع له رأيه فى نفسه أن يبايع لها بالملك ، ثم أخذها بسمْت الملوك ، وألزمها شارة الخاصة ، وعاشر الدهاء معاشرة الأنوف الكرّه ، وساير الرؤساء مسايرة الغريم الحاقد ، وسخر قوته وعبقريته فى طلب هذا (الحق) وتحقيق هذا المطلب ، حتى ملأ الدنيا بذكره ، وشغل الناس بأمره

* * *

المتنبي فى كتاب الأدب العربي فصل قائم بذاته ؛ لأن حياته التى اختلفت عليها العوامل ، وازدحمت فيها الأحداث ، واعتركت بها الآمال ، وفاضت منها التجارب ، أمكنته من نوع جديد فى الشعر يتّسم بالتفكير الحى ، والابتكار الجرىء ، والاداء الحر ، فأقبل عليه عشاق الأدب وطلاب الشهرة من ذوى السلطان فى خراسان والعراق والشام ومصر ، يتسابقون الى وده ، ويتنافسون فى رضاه ، وربما توسل بعضهم بالشفاعة ليحطبه فى حبله ، وجلس أحدهم بين يديه ليسمع مدحه فيه ، وهو يتصون عن مدح السوقة ، ويتكرم عن موقف الشاعر ؛ فمنى اليه الرؤساء المحرومون بالمعاداة ، واجتمع عليه الشعراء الموتورون بالحسد ، وتعاون هؤلاء وأولئك على تعقب سقطاته وجحود فضله ؛ فكان من أثر الكتب التى ألفت فى نقده ، والقصائد التى قيلت فى هجوه ، والخصومة الأدبية التى أثيرت من حوله ، والحركة الذهنية التى نشأت من شعره ، أن سار ذكره مسير الشمس ، وصار شعره سجل الخلود ، وغدا مدحه مطمح الملوك ، وأصبح أدبه وما اتصل به من النقود والشروح مكتبة !

* * *

عقلية المتنبي عقلية بدوية خالصة : تتعلق بالحس أكثر من تعلقها بالمعنى ، وتمتد بالواقع أكثر من امتدادها بالخيال ، وتعتمد على القوة أكثر من اعتمادها على الحيلة . لذلك كان ذهول الصوفية نابياً فى عقله ، وشعور الجمال خابياً فى قلبه ، وأثر الدين ضعيفاً فى حياته ؛ ثم كانت فلسفته حاجة الدنيا ، وخطته سنة الطبيعة ، وفكرته صورة الواقع ، وغايته غاية الرجل الطماح : شخصيته تبنى الظهور ، وشهوته ترغب المال ، وحيويته تطلب الغلب ، وعظمته تريد الحكم ؛ لذلك كان أخص مايميزه بروز شخصيته فى شعره ، وصدق ايمانه برأيه ، وقوة اعتداده بنفسه ، وصحة تعبيره عن طبائع النفس ومشاغل الناس وأغراض الحياة

* * *

عبقرية أبى الطيب سبّاحة الجناح ، لماحة الطرف ، مبسوطة الأفق ؛ ولكنه قيدها بالمادة وحصرها فيما تدور عليه من كاذب المدح ولاذع الهجاء ، فقرت قرار الطائر الحبيس ، تُخافت بالأغاريد المزورة على طبيعتها ، وتكابد الشوق الملحّ إلى الهواء والسماء والروض ؛ ثم تفلت أحيانا من ربقة القيد فتحلق فى سماء الالهام وتهتف بالمعجز من قلائد الحِكم وشوارد الأمثال وطرائف الذهن ، حتى فى الأغراض المبتذلة والمواقف الوضيعة

وهكذا كانت قوى المتنبي ومواهبه مقهورة معذبة ! ولعله كان أقسى ما يكون على قريحته وعبقريته ! فقد أرادها على الابتكار فى مدح لا يعتقده ، ووصف لا يحسه ، فجاءت معانيه فى أمثال هذه الأغراض توليداً من عقله ، لا نقلا عن شعوره ؛ ومن ثَم كثر فيها الاغراق لقيامها على الدعاوى المرسلة ، والغموضُ لانتزاعها من الخوالج المبهمة ، والتناقضُ لتعبيرها عن غير كائن ، والتشابه لتفصيلها على غير معين

أما فيما يشعر به كالهجاء والعتاب والنقد والفخر والشكوى ، فسيل لا يحجزه سد ، وبحر لا يحصره ساحل . وهو فى تدفّع السيل وعمق البحر وسعة العباب ، مثله فى بطء الحركة واختلاج الاداء وضيق الفكرة : شخصية مفروضة على الذهن ، وروح شماعة على الاحساس ، وزفيف فى الارتفاع والاسفاف يدل على جناح النسر !

والحق أن المتنبي شاعر القوة ، شاعر الحرب ، شاعر المغامرة ، شاعر المجد ! فلو كان سياسياً لكان مكيافللى ، أو قائداً لكان نابليون ، أو فيلسوفاً لكان نيتشه !

احمد حسن الزيات

وقع فى المقال الماضى غلطتان : تمادى والصواب تمارى ، ويتأبى والصواب يتأبه

المجنـــون

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تتمـــة

وطال المجلسُ بنا وبالمجنونين ، والكلامُ على أنحائه يندفعُ من وجهٍ إلى وجه ، ويمرُّ في معنىً الى معنى ؛ فأردتُ أن أبلغَ به إلى الغاية التي جئتُ من أجلها بين هذين المجنونين ، بعدما انطلقا في القول وانفتح القُفل الموضوعُ على عقل كلٍ منهما

وكان قد مرَّ في الندىّ بائع روايات مترجمة « بوليسية وغراميـة ولصوصية ! » يحمل الرجلُ منها مَزْبَلةَ أخلاقٍ أوربية كاملة لينفضها في نفوس الأحداث من فتياننا وفتياتنا ، فقلتُ (لنابغـة القرن العشرين) : أتقرأُ الروايات ؟ قال : لا ، إلا مرة واحدة ثم لم أعاود ، إذ جعلتني الروايةُ روايةً مثلها

قلنا : هذا أعجب ما مرَّ بنا منذ اليوم ، فكيف صرت رواية ؟

قال : أنتم لا تعرفون طبيعة النوابغ ، إذ ليس لكم حسهم المرهف ، ولا طبعُهم المستحكم ، ولا خصائصهم الغيبيـة ، ولا خواطرهم المتعلقة بما فوق الطبيعة . قلت : نعم أعرف ذلك ؛ وما من (نابغة) إلا وهو بين عالَمين على طرَف مما هنا وطرفٍ مما هناك ، فهو خرّاجٌ ولاّجٌ بين العالَمين ؛ وله نفسٌ مركبة تركيبها على نواميس معروفةٍ وأخرى مجهولة ، فهي تأخذ من الظاهر والباطن معاً ، ويحصرها المكانُ مرة ويُفلتها مرة ، وتكون أحياناً في زمان الأرض ، وأحياناً في زمن الكواكب من القمر فصاعدا ...... ولكن ....

فقطع عليّ وقال : أضف إلى ذلك أن هذه العقول التي تحصر من يسمونهم العقلاء في الزمان والمكان ، لا تُوجِدُ أهلها إلا الهمومَ والأحزانَ والمطامع السافلة والأعمال الدنيئة ، فانهم يعيشون فوق التراب

قلت : نعم ، واذا عاشوا فوق التراب فباضطرارٍ أن تكون معانى التراب فوقهم وتحتهم ومن حولهم وبين أيديهم ، فليسوا يقطعون على هذه الأرض إلا عمراً ترابياً في كل معانيه ولكن ..

قال : وزد على ذلك أنهم مقيدون تقييدَ المجانين غير أن حبالهم وسلاسلهم عقلية غير منظورة ؛ وبتدليلهم تدليل المجانين يسمون أنفسهم عقلاء ، وأعقلهم أثقلهم قيوداً ، وهذا من الغرابة كما ترى.

قلت : نعم ، أما العقلاءُ بحقيقة العقل فهم الذين يضحكون على هؤلاء ويسخرون منهم ، إذ كانوا في حالٍ كحال المنطلق من القيد ، وفي موضع كموضع المعافى من المبتلى . ولكن . . .

قال : وفوق هذا وذاك ، إنهم لا يملكون السعادة إذ ليس لهم العقلُ الضاحكُ الساخر العابث الذي خُصّ به النوابغُ وكان الأوحدُ فيه (نابغة القرن العشرين)

قلت : نعم ، وإذا ملكوا السعادة لم يشعروا بها ؛ أما (النوابغ) فقد لا يملكونها ولكن لا يفوتهم الشعورُ بها أبدا فيجيئهم الفرحُ من أسبابه ومن غير أسبابه ما دام العقلُ الضاحك الساخر العابث الذى دأبه أبدا أن يتنبى ليضحك ، ولا قانون له إلا إرادةُ صاحبه ، على مشيئة صاحبه ، لمنفعة صاحبه . ولكن .. ..

قال : والذى هو أهمُّ من كل ما سبق ؛ أن أعظم خصائص هذا العقل الضاحك الساخر العابث أن يطرد عن صاحبه ما لا يحبّ ويجنبه أن يخسر شيئاً من نفسه ، فهو لذلك يجعل حسابه مع الأشياء حساباً يهودياً لا بد فيـه من ربح خمسين في المائة .. ..

قلت : نعم ، وهو دائماً كالطفل ؛ وما أظرف بلاهة الطفل وما أجداها عليه إذ يضع بلاهته دائماً في أرواح الأشياء وأسرارها فتخرج بلهاء مثله ، وتنقلبُ له الدنيا كأنها أمٌّ تضاحك ابنها وتلاعبه . ولكن . . . .

قال : ولكن هـذا مبلغ لا تبلغه الانسانية إلا شذوذاً في أفرادها من جبابرة العقول (كنابغة القرن العشرين)

قلت : نعم ولكن كيف صار نابغة القرن العشرين راويةً حين قرأ الرواية ؟

قال : هذه نكتة النبوغ ؛ فلو أن مؤلفها كان نابغةً مثلنا يتلقّى في نفسه وحى الأثير وإشارات الروح الأعظم ؛ لعلم من الغيب أن نابغة القرن العشرين سيقرأ روايته ، فكان يتحرّى معانى غير معانيه ويتوخى بهذه القصة وصفاً آخر لا تكون فيه

حبيبةٌ خائنة ، ولا لصٌ عارم ، ولا قاتل سفّاح ، ولا سجنٌ مظلم ، ولا محكمة تقول حيث وحيث ... ...

قلت : وما عليك من حبيبة خائنة في الورق ، ولص بين الحروف المطبعية ، وقاتل لا يقتل إلا كلاما ، وسجن ومحكمة على الصحيفة لا على الأرض ؟

قال : هذه نكتة النبوغ ، فما استوعبت القصة حتى عمّرتني أشخاصها وأقحمتُ منها على هول هائل ، فخانتني الخائنة لعنها الله . ولولا خوف السجن والمحكمة لقتلتها أشنع قتلة ومثّلت بها أقبح تمثيل . ويْح الخائنة كيف استمالها ذلك الضخم الطويل العملاق المشبوح العظام المفتول العضل ؟ ولكني لست عملاقاً ولا مبنياً بناءَ الحائط ؛ ثم كان مجنوناً بشهواته جنون الفيل الهائج وكنت في شهواتي عاقلا عقل الانسان ؛ ثم كان غنياً غنى الجهّال وكنت فقيراً فقر العلماء ؛ والنساء ؛ قبح الله النساء . إنهن زينةٌ تطلب زينة مثلها . وإن المرأة لتمنح وجهها للقرد يقبله إذا كان الذهب يتساقط من قبلاته . أما من كان مثلي أمواله الشباب والجمال أو العقل والنبوغ ، فهو مفلس عندهن إفلاس القرد في الغابة ، فهو عندهن قرد لهذه المشابهة

قلت : هذا ليس عجيباً فان اللغويين يجرون على الشيء اسم ما يقاربه في المعنى

قال المجنون الآخر : « مما حفظناه » أن اللغويين يجرون على الشيء اسم ما يقاربه في المعنى ... ...

فتربّد وجه (النابغة) غضباً وقال : أبي يلعب هذا المجنون ؟ إنه يزعم أن اللغويين يسمونني قرداً ، فهاتوا القواميس كلها وارجعوا إلى مادة (قرد) ومادة (نابغة) ... سَوْأة عليك أيها الصبيُّ المعمَّر ... ألا فدعوني أؤدبه أدب الصبيان فان اللطمة القوية على وجه الطفل المكابر في حقيقة ، تُلمِسهُ الحقيقة التي يكابر فيها إذ تدخله إلى عقله من أقرب طريق ...

قال ا . ش : أنت قلت لا هو . على أنك لست قردا أبداً إلا عند امرأة جميلة فاتنة متخيلة متاجنة قد تضع البرذعة على ظهر الأمير وتجعله حمارها ، فيُعْجب الأمير أن يكون حمارها . ولست قردا مع قرّاد إلى جانب عنز وكلب ...

قال : الآن علمت السبب فان الخائنة كانت متخيلةً مؤلفة كتب وروايات ، والمرأة التي تؤلف الكتب ، غير بعيد أن تؤلف الرجل أيضاً ، وتجعله قصة فيها فرد ... وهذا إن كانت جميلة كامرأة الرواية . أما إن كانت دميمة مجموعة من المتناقضات ، أو عجوزا مجموعة من السنين ؛ فهذه وهذه كلُّ أيامها كيوم الأحد عند النصارى ... يوم العطلة لا بيع فيه ولا شراء ولا مساومة . هذه وهذه كلتاها تجعل الرجل كالماء في سبيل التجمد . . . لا يشتعل ، فضلا عن أن يستعر ، فضلا عن أن يحترق

ومؤلفة الكتب لا يكون وجهها إلا احدى وثيقتين : فاما جميلة ، فوجهها وثيقة بأن لها ديونا على الرجال ؛ وإما غير جميلة ، فوجهها (مخالصة) من كل الديون ...

قلنا : هذا في الخائنة . فكيف سرقك اللص ولست غنياً ؟

قال : هذه هي نكتة النبوغ ؛ وفي النبوغ أشياء لا ينكشف تفسيرها وليس في جهلها مضرةٌ على أحد ، وجهلٌ لا يضرّ هو علم لا ينفع ، لكنه علم . والبحث في بعض أعمال (النابغة) هو كالبحث عن سر الحياة فيه ، إذ يعمل أعماله تلك بسر الحياة لا بسر العقل ، أي بالعقل النابغ الخاصّ به وحده لا بالعقل الطبيعي المشترك بين الناس .

* * *

قلت : ومن عجائبك أنك لا تقرأ الروايات ولكنك مع ذلك تؤلفها ...

قال : إن ذلك ليكون ، وإن لم أؤلفها أنا تألفت هي لي . فاذا تقدم الليل ونام الناس جميعاً انتبهتُ أنا وحدي لرواية العالم فأرى ما شئت أن أرى . وفي ضوء النهار أجدُ الناس عقلاء ولكني في ظلمة الليل أبصرهم مجانين . فهذا الليل برهانُ الطبيعة على جنون الناس وضعف عقولهم إذ هو يثبت حاجة هذه العقول إلى ضربٍ من النسيان الأبله التام لولاه ما عقلت في نهارها ولا استقام لها أمر

يُصرَعُ الناس في الليل صرعة المجانين فيغمضون أعينهم ولا يرون شيئاً . أما أنا فأرى العالم في الليل مسرحاً هزلياً يضجُّ بالضحك من الانسان الأحمق الذي يقطع سَراة نهاره وهو معتقد أنه قابض على الوجود بالأعين والآذان والآناف ... أين رأيت الأسد بعينك أيها الأحمق وسمعت في أذنيك زئيره ؛ ادّعيت الدعوى العريضة وزعمت أنك ملكته وقبضت عليه ، ولا تدرى في هذا أنك كالمعتوه إذا قبض على الظل بيده وصاح هاتوا الحبل

لأقيده لا يفلت ... ؟

قلت : فاذا كان العالم كله روايتك فأخرج لنا فصلا من الرواية

قال : أتما أحب اليكم ، أن أكتب أو أمثل ؟

قلنا : بل التمثيل أحبُّ الينا . فنظر إلى المجنون الآخر وقال: إن المجنون في طبيعته ينبوع من الأشخاص يفيض حالاً بعد حال ، كينبوع الماء يسحُّ الدفعة بعد الدفعة ، فهنا المسرح ، والرواية الآن رواية الطبيب والمجنون ...

* * *

أنت يا س . ع . عمُّ هذا المجنون ، فاذا قال لك يا عم . قل له أنا لست عمك ولكني أخو أبيك ... لننظر أيتنبه على الفرق بين الصيغتين أم لا ؛ فانه فرق عقلي دقيق تمتحن به العقول ...

تعال أيها المريض فاني أرجو أن يكون شفاؤك على يدي ، وفي يدي هذه لمسة من لمسات المسيح ، لأن (نابغة القرن العشرين) هو الآن طبيب القرن العشرين

اتقوا أن تغضبوه أو تخيفوه ، وأتيموا له كل مايحتاج اليه ، وتحروا مسرته دائما فان إدخال بعض السرور إلى نفس المجنون هو إدخال بعض العقل إلى رأسه . متى أنكرت يا س . ع عقل ابن أخيك وما كان السبب وكيف غُلب على عقله . وهل ا.ش. هو خاله أو أخو أمه ... ؟

لطف الله بك أيها المسكين . قل لي : أتذكر أمس ؛ أتذكر غداً ... إن الأمس والغد ساقطان جميعاً من حساب المجانين ؛ ومن الرحمة بهم أن الدنيا تبدأ لهم كل يوم فقد استراحوا من تلك هموم الزمن في العقلاء . وهم لا يصلحون أن ينفعوا الناس كالعقلاء ، غير أنهم صالحون أكثر من العقلاء للانتفاع بأنفسهم في الضحك والمرح والطرب ، وهذا حسبهم من النعمة عليهم

قل لي أيها المجنون : أتحسُّ أن الدنيا تصنع لك نفسك أم نفسك هي تصنع لك الدنيا ؟ إن هذه مسألة يحلها كل مجنون على طريقته الخاصة به ، فما هي طريقتك في حلها ؟

مالك لا تجيب أيها الأبله ؟ (هذا من جهة ومن جهة) أعطوه قرشاً لينطلق لسانه ، وآتوا الطبيبَ أجره وافياً وهو لا يقل عن قرشين . . .

ثم مال (النابغة) على مجنون الفن وساره بشيء . فقلنا ما أمر المال بسر ؟ هذا قرش للمريض وهذان قرشان للطبيب .

فقال المجنون : « مما حفظناه » كفى بالسلامة داءً

قال الطبيب : هذا مريض بنوع من الجنون اسمه « مما حفظناه » وهو جنون النسيان الذي يضع في مكان العقل كلمةً ثابتة لايتذكر إلا إياها ؛ ومن أعراضه جنونُ الشك فكل ما حول المريض مشكوك فيه ، وقد يترامى إلى جنون اللمس ، فلو لمسته بأصبعك توهمها عقرباً تخاف من الاصبع تلسُّه خوفَه من العقرب تلدغه ، ولكن بقيت أشياء لا بد من التدقيق في فحصها ، فليس هذا من مجانين العبقرية التي انحرفت عن طريقها أو شذَّت في قوتها ؛ ولا هو ممن يتجانُّ ويتحامقُ التماساً للرزق والعيش كما قال بعضهم : حماقةٌ تمولني خير من عقل أعوله

فقال المجنون : « مما حفظناه » حماقة تموانى

فضحك (النابغة) وقال : هو كما بينتُ لكم مصاب بجنون (مما حفظناه) وهو أقل الجنون وأهونُه ، وعلاجه البسطُ والسرور والقرش ؛ والضربُ أحياناً . . . فاذا ثارَ عليه الداءُ تحول إلى جنون (مما ضربناه) . . . فيعتدي المصابُ على كل من يراه أو يوقع به ضرباً ، وعلاجه حينئذ القميص المرقوم (١) ؛ فاذا قدحتْ العلة انقلب المرض إلى جنون (مما قتلناه) . وعلاجه يومئذ السلاسل والأغلال

والحق أقول لكم إن آخر ما انتهت اليه فلسفة الطب في القرن العشرين أن الناس جميعاً مجانين ولكن بعضهم أوفر قسطاً من بعض ، كأن سلبَ العقل هو أيضاً حظوظ كحظوظ موهبة العقل . وأهل المريخ من أجل ذلك يسمون الأرض بيمارستان الفلك

ولكن بقيت أشياء لا بد من التدقيق في فحصها ؛ وعندي في الدار عاطوسٌ إذا أشممتُه هذا المجنونَ عطسَ به عطسةً قوية تخرج جنونه من أنفه . . . قل لي أيها المسكين : أتخاف إذا سرتَ وحدك في ميدان واسع كأن الميدان سيلتفّ عليك ؟ أتضطرب إذا مشيت في مضيق كأن المكان سينطبق عليك ؟ وإذا كنت في عربة القطار فهل يخيل اليك أن البيمارستان قد جره القطار وانطلق به هارباً ؟ وهل شعرت مرة أنه أوحى إليك أن تنتحر ؟

أرني هذا القرش الذي في يدك . فمد إليه المجنون يده بالقرش

(١) القميص المرقوم قميص السجن يلبسه المسجون ويرقم عليه العدد الذي يسمى اليوم (النمرة) وقد كان هذا معروفاً في التمدن الاسلامي

قال (النابغة) : أنظر الآن هل تحدثك نفسك أن تغصبنى هذا القرش أو تسرقه منى ؟ قال : نعم

قال (النابغة) : إذن يجب أن أحرزه فى جيبى ... وأسرع فأخفاه فى جيبه

* * *

فصاح الآخر وشغَب ، وقال سلبنى ونهبنى . قلنا لا ينبغى أن يتصل بينكما شر فى تمثيل الرواية فهذا قرش آخر ، ولكن أفى الفلسفة عند (النابغة) إباحةُ السرقة والغصْب ؟

قال : فالرواية الآن هى رواية الفيلسوف المظيم أفلاطون وتلميذه أرسطو

قل لى ويحك يا أرسطو . أعلمت أن فى المجانين أغنياءَ يسرقون الشيء القليل لا قيمة له وهم أغنياء وليست بهم حاجة إليه . فما علةُ ذلك عندك وما وجهه فى مقولة الجنون ؟

أعجزتَ عن الجواب ؟ إذن فاعلم يا أرسطو أن المصاب بهذا الضرب من الجنون إذا اشترى هذا الشيء بدرهم كانت قيمته من الدرهم وحده ، وهو غنى لا قيمة للدرهم فى ماله فلا يحفل بالشراء . بيد أنه إذا سرقه كانت قيمته عنده من عقله وحيلته فيجيئه بلذة لا تشتريها كل أمواله ولا كل أموال الدنيا . فهذا جنون باللذة لا بالسرقة وهو بذلك ضرب من العشق يجعل الشيء إذا لم يسرق كأنه المرأة المعشوقة المتمنعة على عاشقها

والجياع اذا سرقوا ليأكلوا ويمسكوا الرمق على أنفسهم ، لا يقال فى لغة الفلسفة إنهم سرقوا بل أخذوا . . . . فباضطرار جاعوا وباضطرار مثله أكلوا ، والسارق هنا هو الغنى الذى منعهم الاحسان والمعونة . . .

فالدنيا معكوسة منقلبة أوضاعها يا أرسطو ، ولو استقامت هذه الأوضاع لوجدت السعادة فى الأرض لأهل الأرض جميعاً . وكيف لك بالسعادة والناس مخلوقون بعيوبهم ؟ ويا ليتهم مخلوقون بعيوبهم فقط ، ولكن الطامة الكبرى أن عيوبهم تعمل دائماً على أن ترى فى الآخرين عيوباً مثلها

كل حمار فهو يريد أن يملأ جوفه تبناً وفولا وشعيراً ، غير أنى لم أر حماراً قط يريد أن يملأ لنفسه الاصطبل ، فاذا وجد حمار هذه همته وهذا عمله فاسمه إنسان لا حمار . . . .

يا أرسطو إن معضلة المعضلات أن يحاول إنسان حل مشكلة داخلية محضة قائمة فى نفس حمار أو ثابتة فى ذهنه الحارى ؛ ومثل هذا أن يحاول حمار حل مشكلة نفسية فى ذهن إنسان أو فى قلبه ؛ فلا حل لمشاكل العالم أبدا ما دام كل إنسان مع غيره كحمار مع إنسان . . . .

والمعضلات النفسية من عمل الشياطين فكان ينبغى أن تجيء الملائكة لتحارب الشياطين بالبرق والرعد دفاعاً عن الانسانية ؛ ولكن الله تعالى منعها وأرسل للانسان ملائكة أخرى إن شاء هذا الانسان عملت ، وإن شاء عجزت ؛ وهى فضائل الأديان المنزلة فاذا منحها الانسان إرادته وقوته فعملت عملها كان الانسان هو الملك بل فوق الملك ، وإذا أضعفها وحَقَّرها كان الانسان هو الشيطان وأسفل من الشيطان

يا أرسطو[1] « هذا العالم عندى كتلة من العدم اتفقت على الظهور وستختفى . والعالم عندى ضعف ركَّب وقوة ركبت . والعالم عندى لا شيء . والعالم بَيْن بَيْن . والعالم قسمان . منهم الفلاح الزراعى وذلك أفضل فلسفة طبيعية .... والعالم فى حاجة إلى الموت والموت فى حاجة إليه . والأدب هو الحياة ولا حياة بلا أدب . والأدب ضربان : أدب نفسانى وأدب مكتسب . وقد يكون طبيعياً كما هو عند نابغة القرن العشرين . ومن هو نابغة القرن العشرين ؟ هو شخص مات بلا موت ويحيا بلا حياة . »

أتريد يا أرسطو أن تعرف سر تركيب العالم ؟ الأمر يسير غير عسير ، فان سر تركيبه كسر تركيب القرش الذى فى يدك ، فدعنى أظهرك على هذه الحقيقة ومد يدك بالقرش لأبين لك سرَّ التركيب فيه . . . .

* * *

ولكن المجنون الآخر أسرع فغيب القرش فى جيبه . فقال (النابغة) هذا سياسى داهية خبيث . والرواية الآن رواية سياسى القرن العشرين

ليس فى حقيقة السياسة إلا الرَّذْلُ من أعمال السياسيين . والألفاظ السياسية التى تحمل أكثر من معنى هى التى لا تحمل معنى . فليحذر الشرق من كل لفظ سياسى يحتمل معنيين ، أو

(١) هذه الأسطر التى وضعناها بين القوسين هى من كلام المجنون بالنص وكنا سألناه أن يكتب رأيه فى العالم والحياة فكتب على البديهة هذه كلها تخليط . وتندر فيها كلمات كأعمق ما يجيء فى مذاهب الفلسفة

معنى ونصف معنى ، أو معنى وشِبْه معنى . فان قالوا لنا (أحمر) قلنا لهم اكتبوه بهذا اللفظ ؛ فاذا كتبوه قلنا لهم ارسموا إلى جانبه معناه باللون الأحمر لتشهد الطبيعةُ نفسها على أن معناه أحمر لاغير . . . . وعلى هــذه الطريقة يجب أن تكتب المعاهداتُ السياسية بين أوربا والشرق

انهم يكتبون لنا جريدة بأسماء الأطعمة ثم يقولون : أكلتم وشبعتم . . . . ولقد رأيت (مظاهرات) كثيرة ولا كالمظاهرة التي أعنتها ؛ فما أعني إلا أن يخرج كل الجانبين في مظاهرة ......

وهــذا الأبله الذى أمامنا ليس وطنياً ولا فيه ذرة من الوطنية . فان كان وطنياً أو زعم أنه وطنى ، فليخرج القرش الذى فى جيبه . . . ليكون فألا حسناً لخروج جيش الاحتلال من مصر

* * *

ولــكن المجنون لم يخرج القرش وترك جيش الإحتلال فى مكانه فقال (النابغة) : الرواية الآن رواية الشرطى واللص . وبحقٍّ من القانون يكون للشرطى أن يفتش هذا اللص ليخرج القرش من جيبه . . . .

* * *

غير أن المجنون امتنع . فقال (النابغة) : كل ذلك لا يجدى مع هذا الخبيث ، فالرواية الآن رواية هارون الرشيد مع البرامكة ، ويجب أن ينكب الرشيد هؤلاء البرامكة ليستصفى القرش . . .

* * *

بيد أننا منعناه أن ينكبَ « البرامكة » فقال : الرواية الآن رواية العاشق والمعشوقة ، ونظر طويلاً فى المجنون وصعَّد فيه عينه وصوَّب فلم يرَ إلا ما يذكر بأنه رجل فتهدّى إلى رأى عجيب . فوقع على قدميه وتوهمه امرأةً فى حذائها . . . وجعل يناجى الحذاء بهذه المناجاة :

إن سخافات الحب هى أقوى الدليل عند أهله على أن الحب غير سخيف ؛ فكل فكرة فى الحب مهما كانت سخيفةً ، عليها جلالُ الحب ؛ والحذاء فى قدميك يا حبيبتى جمالُ الصندوق المملوء ذهباً فى نظر البخيل ، وكل شىء منك أنت فيه سرُّ جمالك أنت . والحذاء فى قدميك ليس حذاءً ، ولكنه بعض حدود جسمك الجميل ، فلأكون كلّ العاشق حتى أحيط بكل حدودك إلى الحذاء

ان جسمك يا حبيبتى كالماء الجارى العذب ؛ فى كل موضع منه روح الماء كله . وحينما وقعت القبلة من جسمك كان فيها روح شفتيك الورديتين . هذه قبلة على قدميك يا حبيبتى ؛ وهذه قبلة على ساقك ؛ وهذه قبلة على ثوبك ، وهذه قبلة على جبينك ....

وكادت يد (النابغة) تخرج بالقرش ؛ فعضّه المجنون فى كتفه عضة وحشية جاء الخوف منها فطار صوابه ؛ فصرخ صرخة عظيمة دوى لها المكان وترددت كصرصرة البازى فى الجو . ثم اعتراه الطيف ، وأطبق عليه المجنون ، فاختلط وتخبّط ....

(والرواية الآن) ... ؟ . رواية عربة الاسعاف ......

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

تصحيح خطأ

جاء فى مقال (المجنون) فى صفحة ٢٠٤٥ من العدد ١٢٩ هذا البيت :

العقل إن حكم المشاقَ أنقلُ من فقر تحكّم فى رزق المجانين

وصوابه : فى رزق « المساكين »

٢ ـ بعض مواطن الخفاء

في التاريخ الإسلامي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٤ —

وفي عصر الحاكم بأمر الله تدنو أساليب الخلافة الفاطمية، وتدنو شخصية الخلفاء الفاطميين من ذروة الخفاء؛ وكما أن الدعوة السرية الشيعية لقيت على يد الخلافة الفاطمية أعظم مظاهر ظفرها الديني والسياسي، فكذلك تاتي الدعوة السرية الفاطمية في عصر الحاكم بأمر الله أغرب مظاهرها، وأشدها إمعاناً في الغموض والخفاء؛ وفي هذه الفترة بالذات ينفجر بركان الدعوات السرية التي لبثت تضطرم قبل ذلك بأكثر من قرن، وتحقق بعض غاياتها العملية بصور جريئة مروعة

ولقد كانت شخصية الحاكم بأمر الله مثال الخفاء ذاته؛ ولم تكن مظاهر الغموض والتناقض التي تنتاب هذه الشخصية الغريبة في كثير من المواطن، لتحجب مظاهر القوة المادية والمعنوية التي تتمتع بها في أحيان كثيرة؛ بيد أنا نلاحظ أن الخفاء يغمر هذه المظاهر جميعاً، سواء في فترات قوتها أو ضعفها. كان الحاكم ذهناً هائماً، يشغف بنظريات الخفاء والعالم الآخر، وينكب على دراسة التنجيم والفلك، ويهيم في ميدان المباحث الفلسفية والروحية؛ وكان هذا الخفاء الروع يصحب الحاكم في حياته الخاصة، وفي تصرفاته العامة، في أقواله وأعماله؛ وأي خفاء أشد من ذلك الذي تنفثه حولها شخصية ترتفع في سماء التفكير حتى لتزعم السمو فوق البشر، وتهيم في دعوى الألوهية، وتنحط مع ذلك في بعض نزعاتها وتصرفاتها الى نوع من الجنون الغامض؟ لقد يجرؤ الدعاة في كثير من المواطن على انتحال الرسالة أو النبوة، وقد يزعم المشعوذون والمغامرون أنهم يتمتعون بمواهب خارقة، ولدينا من هؤلاء وهؤلاء ثبت حافل في جميع العصور والأمم، بل إنا لنراهم ينبثون في القرن الثامن عشر في معظم المجتمعات الأوربية يزاولون السحر والتنجيم، ويتسمون بأذيال الخفاء والروع؛ ولكنا لا نعرف مثلا عملياً ذهب فيه الداعي الى انتحال الألوهية، وأثمرت فيه الدعوة ثمرتها العملية كمثل الحاكم بأمر الله

احتشد الدعاة السريون بمصر في عصر الحاكم، وازدهرت الدعوات السرية، واتخذت سبلا ومظاهر شتى؛ وكان المجتمع القاهري يعيش في الواقع على هامش تلك الدعوات الغريبة التي تتخذ سبلها في الخفاء الى أذهان الناقمين والمنافقين؛ وقد تمخضت هذه الحركة السرية الملحدة في عصر الحاكم ذاته عن نتائج مدهشة، ففي أواخر عصر الحاكم ظهر دعاة يدعون إلى ألوهية الحاكم بأمر الله؛ وزعم حمزة بن علي رأس أولئك الدعاة وأشدهم جرأة أن الحاكم ليس بشرا، وإنما هو « المولى سبحانه هو هو في كل عصر وزمان » ونعته بأنه « قائم الزمان »، وأنه هو أي حمزة نبيه ورسوله، وذهب الدعاة في جرأتهم الى حد التبشير بهذا الهراء في جامع القاهرة (الأزهر) علناً، وكادت تضطرم من جراء ذلك فتنة خطيرة لولا أن بادر الحاكم بصرف الدعاة وإبعادهم إلى الشام، وهنالك أسفرت دعوتهم عن تأسيس مذهب الدروز الذي ما زال قائماً إلى اليوم، وقوامه القول بالتناسخ وحلول الأرواح، وأن الحاكم بأمر الله هو الإله، وهو قائم الزمان، تجسمت فيه روح آدم، بعد أن تجسمت من قبل في علي بن أبي طالب

وقد وضع أولئك الدعاة كتباً ورسائل سرية مدهشة انتهى الينا بعضها[1]؛ ولم يك ثمة ريب في أن الحاكم بأمر الله كان يرعى هذه الدعوة ويغذيها من وراء ستار، وأنه تأثر بها في أواخر عهده، وأذكت هيامه، واضطرام عقله وروحه، وكان لها أكبر أثر في تطور الدعوات السرية الاسماعيلية

— ٥ —

وكان اختفاء الحاكم كحياته لغزا مدهشا، بل كان ذروة الخفاء والروع؛ وما زالت قصة هذا الاختفاء وظروفه وحقيقة عوامله مثار الريب والجدل. ركب الحاكم ذات مساء في بعض جولاته الليلية التي كان يشغف بها ولا يصبر عنها، وقصد ناحية في جبل المقطم اعتاد أن يرتادها لرصد النجوم، بعد أن صرف الحشم

(١) تحتفظ دار الكتب المصرية بطائفة من هذه الكتب والرسائل، تحت أرقام ٥٤ و ٢٥ و ١٣٣ عقائد النحل

المراقبين له؛ ثم لم ير بعد ذلك قط لا حياً ولا ميتاً، ولم يوجد له بعد ذلك أثر قط؛ ولم توجد جثته قط. ولم تقدم إلينا الروايات المعاصرة أو المتأخرة أية رواية حاسمة عن مصرعه أو اختفائه، ولكنا لا نتردد رغم خفاء الحادث وغموض ظروفه في الاعتقاد بأن الحاكم ذهب ضحية مؤامرة، وأن مقتله لم يك سوى جريمة سياسية ارتكبت لتحقيق شهوات الملك والسياسة؛ وهذا ما تقرره بعض الروايات المعاصرة على اختلافها في الشرح والتفصيل؛ وفي ظروف الحاكم، وفي عنفه واضطرام أهوائه، وغريب تصرفاته، وفي قسوته وصرامة نفسه، ما يفسر مثل هذا الرأي، وما يسبغ عليه مسحة من الرجحان. ومعظم الروايات المعاصرة على أن الذي دبر المؤامرة هي الأميرة ست الملك أخت الحاكم؛ وكانت تأخذ عليه عنفه وإغراقه، وتحذره من عواقب أهوائه؛ وكان الحاكم يشدد عليها الحجر والرقابة وينعى عليها سوء مسلكها وفضائحها الغرامية؛ وكانت تخشى بطشه وفتكه، وترقب الفرص لتدبير اغتياله؛ وكان حليفها وعونها في تدبير المؤامرة وتنفيذها، سيف الدولة بن دواس زعيم قبيلة كتامة القوية التي فقدت في ظل الحاكم ما كانت تتمتع به من النفوذ والجاه. وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠م) ركب الحاكم إلى المقطم، بعد أن طاف حيناً في أنحاء القاهرة، وسار إلى الجبل ومعه ركابيان فقط؛ وكان ابن دواس قد اتخذ أهبته ورتب للفتك بالأمير عبدين من أخلص عبيده؛ وتوغل الحاكم في الجبل الى حيث اعتاد أن يرصد النجوم ومعه ركابي فقط؛ أما الركابي الآخر فصرفه مع بعض ذوي حاجة اعترضوه في طريقه، وهنالك في جوف الجبل تمت الجريمة وقتل الحاكم ووصيفه، وقطعت قوائم حماره الأشهب؛ وحملت جثة الحاكم في جوف الظلام إلى أخته ست الملك فدفنته في نفس مجلسها؛ واتخذت كل ما يجب لكتمان الجريمة، وأذاعت أن أخاها سيغيب أياماً؛ وخرج الناس الى الجبل فلم يعثروا بأثر للحاكم أو حماره أو ركابيه؛ ورتبت ست الملك في نفس الوقت اغتيال ابن دواس وكل من اشترك في الجريمة أو وقف على السر، وذهب السر مع الجناة إلى القبر

وقضى رجال الدولة ثلاثة أيام متوالية يبحثون عن الحاكم دون جدوى، وفي اليوم الرابع توغلوا في الجبل فعثروا بحماره الأشهب وقد قطعت قوائمه، وتابعوا بحثهم حتى وصلوا إلى البركة الواقعة شرق حلوان، فنزلها البعض، وعثروا فيها بثياب الحاكم مزررة لم تحل أزرارها وفيها أثر الطعان. فعندئذ أيقن الناس بقتله

كان مصرع الحاكم فيما يرجح إذاً جريمة سياسية دبرت ونفذت بأحكام؛ ولكن ذلك التعليل لم يكن حاسماً في عصر ذاعت فيه الدعوات والأساطير السرية، ونودي فيه بألوهية ذلك الذي اختفى على هذا النحو الغامض. ومن ثم فقد زعم بعض الغلاة والمتأثرين من الدعاة أن الحاكم لم يمت ولكنه اختفى وسيظهر آخر الزمان، أو أنه رفع الى السماء كما رفع المسيح (١) بل لقد وجدت هذه الأساطير المغرقة سبيلها إلى بعض دوائر البحث الحديث، فنرى المستشرق فون ميلر مثلا يعلق على اختفاء الحاكم بما يأتي: « أما أن أخته قد دبرت قتله لخوفها من تنفيذ وعيده لها بالقتل، فهو حديث خرافة. والواقع أن مصيره لم يعرف قط. وعندي أنه طبقا لكل ما نعرفه من حياته، قد رأى استحالة تحقيق مبادئه في مصر، فاعتزل الحياة واختفى في مكان ما ليقضي حياته بعيداً عن الأنظار، لكي يعتقد أنصاره على الأقل أنه هو « الناطق » حقيقة (ناطق الزمان) وأنه سيعود من رمسه آخر الزمان في شخص الامام أو المهدي؛ وهذا ما لا يزال ماثلا إلى اليوم في عقائد الدروز » (٢)

والواقع أن هذه الأساطير رغم بطلانها وإغراقها، كانت أخصب مستق لمذهب الدروز. وإذا كنا لا نستطيع أن نؤمن بهذا التعليل الغريب لاختفاء الحاكم، ففي وسعنا أن نعتقد أن اختفاء الحاكم كان نتيجة جريمة دبرها الدعاة السريون لإذكاء دعوتهم، ولكي يسبغوا عليها بإخفاء الحاكم من هذا العالم قوة الدلائل المادية، فيقال إن ناطق الزمان قد اختفى ولن يظهر إلا في آخر الزمان. على أنه مهما قيل في مصرع الحاكم وفي تعليل اختفائه، فلا ريب أنه حادث من أغرب حوادث التاريخ الاسلامي، وأشدها غموضاً وروعة وخفاء

— ٦ —

هذه خلاصة منوعة لبعض مواطن الخفاء في التاريخ الاسلامي

(١) ابن خلكان — ج ٢ ص ١٦٧ و١٦٨

(٢) Von Müller : Der Islam I P. 633

وهنالك الكثير منها مما لا يتسع المقام لذكره . ولا تقتصر هذه المواطن الخفية الغامضة على حوادث التاريخ الاسلامى ؛ ولكنها تمثل فى تواريخ معظم الأمم والعصور ؛ فما من عصر إلا وله أساطيره ، وما من أمة إلا ولها أساطيرها القومية ، وقد كانت هذه الأساطير وهذه المواطن الخفية تمت فى الغالب بصلة الى الدين أو إلى الاطماع والمشاريع السياسية ، وكان يستغلها دائما دعاة مهرة ومغامرون لهم من الجرأة والاقدام ، ما يكفل تحقيق مشاريعهم ؛ وكان السلطان الروحى أو السياسى دائما مطمح أولئك الدعاة أو المغامرين ؛ وفى أحوال كثيرة نرى الأسطورة الدينية أو الدعوة الخفية تنتهى بانفجار تعقبه انقلابات سياسية واجتماعية خطيرة ، وفى بعض الأحيان نرى الأسطورة أو الدعوة تفضى إلى قيام دولة جديدة أو مذهب دينى أو سياسى جديد

ولا ريب أن هذه الأساطير والدعوات والحوادث الخفية تبدو فى عصرنا حديث خرافة ، ومن المستحيل أن تشق طريقها بعد فى أمة متمدنة أو مجتمع مستنير ولكن يجب أن نذكر فوارق العصر والظروف ، وأن نحكم على هذه الظواهر الغريبة بمعيار العصر الذى حدثت فيه . على أننا نجد فى التاريخ الحديث ، وفى المجتمعات الحديثة المتمدنة أيضاً أمثلة مدهشة من هذه الأساطير والظواهر الخفية تشق طريقها إلى أرقى المجتمعات وتثير الدهشة والروع فى نفوس الكبراء فضلا عن الكافة ؛ ففى القرن الثامن عشر ظهر فى ألمانيا والنمسا وفرنسا عدة من الدعاة والمغامرين السريين مثل يعقوب فرنك (أو الكونت أوفنباخ) والدكتور فوك ، ويوسف بلسامو (أو الكونت كاجليوسترو) ، والكونت سان جرمان وغيرهم ، وجابوا المجتمعات الأوربية الرفيعة ، وأثارت مزاعمهم ودعاويهم فى الخلود وعلم الغيب ، ومزاولة السحر ، والخوارق ، كثيرا من الدهشة والروع ؛ بيد أن هؤلاء المغامرين الدعاة لم يحاولوا أكثر من تحقيق مطامع محلية وشخصية ؛ ذلك أن العصر الذى كانت فيه جرأة الدعاة تتجه إلى انشاء المذاهب الدينية أو الدول السياسية ، كان قد انتهى منذ بعيد ، ولم يبق امام الأواخر من الدعاة والمشعوذين إلا أن يعملوا فى ميدان متواضع جدا لتحقيق المآرب والأهواء الشخصية ؟

(تم البحث) محمد عبد الله عنان

ذكرى زوجة

للأستاذ حسنين حسن مخلوف

حدثنى صاحبى قال :

عشر سنين سوياً هى مدى العيش بينى وبينها

هى قنطرة حياتها الجديدة اجتازتها عجلة إلى القبر

كانت تملأ بيتى نوراً ، وتفيض حبوراً ؛ بدلتنى بالوحشة أنساً ، وبالوحدة جمعاً . هؤلاء أولادها نجوم سماء أرسلتها العناية الالهية لتكون معجزة الله فى نظام الأسرة ، وفى بعث الأمل الباسم ، وفى سعادة الآباء والأمهات ، ثم لم يمتعها الدهر بهم إلا قليلا ، واستودعتنى صغاراً كأفراخ الطير ، وذهبت فى عالم السماء . . . . . .

دعنى يا أخى أخفف من برحاء حزنى بقطرات من الدمع

هى كل ما أملك عندما يغلى مرجل قلبى بذكراها

دع دماء قلبى تتبخر فتستحيل دموعاً ، فى انبثاقها هدوء لوعتى وأشجانى ، فقد انصبّت أحزان الناس جميعاً فى مصيبتى ، فما أطيق لها حملا

أفما رأيت المحزونين يتعزون بى ، وينسون مصائبهم إذا رأونى ، فيرثون لبلواى ، ويمحون بتعازيهم فيض عينىّ التى هى معانى دموعهم على موتاهم ؟

يا لأيامها الحلوة ، ومسرتها الطاهرة ! !

أرأيت إلى البحر الصافى الساكن الذى لا يدنس فى قرارته شيئاً ! ! أرأيت إلى السماء الزرقاء الجميلة تزهر بالنجوم الوضاءة ، هى رمز السرور والطمأنينة ! ! ذلك هو قلبها : إخلاص وصدق ، وأدب وحياء ، وكل ما ترتجى فى الزوجة الكاملة من سمو ووفاء . . . . .

وكأن القدر أراد أن يسقينى كؤوس السعادة مترعة ثم يسلبنيها وشيكا ليطول حزنى ، وتمتد إلى الأبد جراح قلبى ؛ فأنا منها فى هم مقعد مقيم

قلت له : هوّن عليك يا أخى ، فما لما قضى الله حيلة ، وحسبك ما قدمت يداك ، وما لقيت به نحوها من تمريض ، فقد كانت فى أغلب سنيها معك بين الموت والحياة ، تسعى سعى

المُجد لتدفع القــدَر عنها ، فلم تدع طبيباً إلا استشرته ، ولا صيدلية إلا أفرغت فيها كنوز حياتك

كنت فى حياتها فى فكر ممض ، وقلق مستديم ، وليس من الانصاف لنفسك ولا لأولادك أن تظل هكذا شقياً بمانها ..

لما استأذن حديثى على سمعه حتى ظل هُنيهة مطرقاً مفكراً ، وكأن أطياف الماضى تذهب وتجئ فى رأسه ، فلا يستطيع لها دفعاً ، وكأن لوحة خيال تعرض حوادث حياته مشهداً مشهداً ، وبعد أن تنبه إلىّ قال :

لست أنسى طول حياتى رزانة عقلها ، واتزان كلامها ، وجميل وقائها ؛ وقصدها فى الأمور كلها ، حتى لقد حسبت أن الله مازها بذلك من دون النساء جميعا ؛ وأن شمائل بنات حواء اجتمعت فيها ثم صارت وقفاً عليها . أرأيت إلى قطرات من الطر تنحاب من أفواه السحاب ، ثم يؤلف الله منها ماء رويا يحظى به فرد واحد من بنى الانسان ؟ تلك هى فضائلها . فان مُحى البرّ والمعروف والوفاء من نفوس الناس جميعاً فلن تبرح ذهنى ذكراها ، وهكذا تمر الأيام وروحها ماثلة أمامى ، ومآثرها مشرقة اشراق الشمس ؛ فهى باقية فى معانى الكمال الانسانى ، باقية فى هؤلاء الصبية كلما خطروا أمام عينىّ ، فهم بضعة منها ، وأمثالها الدزيزة على نفسى .. ..

كان داء قلبها مبعث آلامها ، فما تبرّمتُ لحظة فى القيام بما تفرضه شركة الحياة بينى وبينها ، ولأنى أعلم أن صخرة عاتية تنتظرنى بعد أن أنفض يدىّ من تراب قبرها ، فتحطم آمالى تحطيما ، وتفرق أجزاء نفسى شعاعاً

وكم كنت أودّ إن لم يكتب الله لها السـلامة أن تعيش هكذا فى سريرها تنعم برؤية أولادها ، وأنا كل يوم أزجى اليها كواذب الآمال فى برئها ، وأزوّر مع الطبيب فى الطريق كلاماً نقوله عند لقائها ، والطبيب يشفق علىّ ويقول : حسبك فقد أبليت ، والطبّ ألقى سلاحه معترفاً بالعجز عند باب حجرتها ؛ وأنا أجيبه : لا عليك أن تـكرر الزيارة ، وأن تذرع الأرض جَيْئة وذهوباً ، وأجرك موفور ، وعذرك فى عدم الشفاء مذكور ، رجاء أن تدخل شيئاً من برد الطمأنينة على قلبها

وقد والله كانت راضية بالقدر خيره وشره ، وماذاقت طعم النوم أشهراً إلا مثـل حَسْوِ الطير ماء الثّماد ، وكانت لا تطيب نفسها أن أسهر بجانبها حتى أقوى على أسباب العيش طول النهار ؛ فاذا نزلت عند رأيها انتابنى الفزَع فى وهن الليل ، فأراها جالسة مفتوحة العينين تنتظر قضاء الله فيها ، وقد تسمع المؤذن فى الفجر يشق الفضاء بكلمة الحق : « الله أكبر » فى سكون الليل وهدوئه ، فتضرع اليه أن يحكم فيها بما يراه خيراً لها ، ثم تدعو الذى كتب لها قصر العمر أن يكتب لى طول العمر جزاء ما أسديت اليها فى أمراضها المتطاولة من برّ ومجهود ، فآسى لهذا القول ، وأذكر الأمل فى الشفاء ، فتستبعد تحقيق ما أمّلت وتقول : أيقدّر لى الشفاء فأقضى عمراً جديداً فى شكر معروفك ؟ !

ثم اشتدت بها العلة ، وبرحت بها الأوصاب . ومن عجائب القدر أن تكلفنى وزارة المعارف مغادرة المدينة لأعمل فى الامتحانات فى مدينـة أخرى ، وليس من شرعة وزارة المعارف أن ترحم مثل الظروف المحيطة بى ، أو تقبل عذرى إلا إذا كنتُ أنا مدنفاً عليلا ، ويشهد جماعة من الأطباء جَهد أيمانهم أنى لا أطيق السفر ، ولا أقوى على مكابدة الأعمال

* * *

سافرت متعب الفكر ، مضطرب النفس ، وبين جنبى من الهم مالو كان بالجبال لاندكت ، وبالبحار ماسمعت لزفات أمواجها زئيراً ، ولا لشموخ أنفها عزّة وزفيراً

وقبل سفرى تقدمت إلى أنجالى أن يراسلونى يومياً بحالتها ، وأسررت إلى بعض أصدقائى إن حلّ المقدور أن يبادر باستقدامى برقياً . ومن عجب أن تترى الرسـائل كل يوم بأن معجزة عيسى البـاهرة ظهرت فى زوجى ، وأن المرض كادت تزول آثاره ! فأحدث ذلك فى نفسى حالة بين الشك واليقين . أذكر البرء فأقول : « آمنت بالله » ، « يحيى العظام وهى رميم » ، هاهوذا مجهودى الطويل تتَوّج بالنجاح ، ووالله إن فرحى برؤيتها سليمة لينسينى كل عذاب تحملته صابراً محتسباً ، ثم تخيم علىّ سُحب مظلمة تقترب من نفسى شيئاً فشيئاً فأنفجر باكياً فى حجرتى بالفندق بعد أن أحكم رتاج الباب ، وأشتى يلدم المحزون ؛ هى تلك القطرات

يالله للانسان لو لم تكن دموع عينيـه أتراه ينشق فتطاير أجزاء قلبه ورأسه فلذة فى الشرق وفلذة فى المغرب ثم يتناثر جسمه إرْباً إرْباً . ثم تعود إلىّ قوة نفسى فأحس حرارة اليقين فى صدرى ؛ ويشع أمام عينىّ ضياء الأمل فأنتعش وأبنى قصور

الآمال من جديد بعد أن ضعضعتني الأسقام ، وزعزعتني الوساوس والأوهام . وعدت من السفر ودخلت عليها مسلماً لأبدل بالشك اليقين ، فرأيتها جالسة في سريرها وقد امّحت منها معالم الحياة إلا عيوناً برّاقة وروحاً رضية تتحدث حديث الأحياء وجسمها في عالم الأموات ، فعرفت زيف أحلامي التي نعمت بها مُدة غيبتي عنها ، فسألت في شأن هذه الرسائل فاعتذرت إلى بأنها شاءت أن أفْرغ لعملي ، وحمى جهود الامتحان من آلام التذكر ، فطالت الرسائل عما يخفف عني ، ويحيي ميت الآمال من نفسي ، فأكبرت هذه المروءة وذلك العقل الكبير من حيّة مَيّتةٍ تنتظر أياما أو ساعات لتودع الحياة الدنيا وقالت لي : إنها ابتهلت إلى الله ألاّ يحل بها ريب المنون حتى أعود من سفري ، وها هي ذي مشيئة الله كانت رحيمة بها كريمة عليها ، وأعلمتني أن دلائل الموت تقترب منها فتاضرت شئوني . أما هي فكانت الثقة بالله تملأ جوانب نفسها والتسليم للمقادير ما يلهج به لسانها في كل حين فكانت هادئة رزينة مكتملة العقل كعادتها

* * *

ثم عدت إلى المنزل في الظهيرة وقارورة الدواء الأخيرة في يدي فنظرتْ اليها كما ينظر الموتور الى واتره فأجفلتْ منها وكأنها نذير الموت جاء يُعجلها فقالت : في هذه الزجاجة بقية عمري فأبعدوها عني ولا تفُضوا ختامها : ارحموني فقد تمزّق جسمي بالحقن فلم يسلم جزء فيه من طعناتها ، وتقطعت أحشائي بالعقاقير وأنا صابرة ، فكم من طبيب كشف عن جسمي ! وكم من دواء شققت مرارته مرارتي ! أين أولادي ؟ ليصنعوا مثل الحلقة حولي ، وأخذت تقبل هذا ، وتمسح بيدها رأس ذاك ، وتبلل بالدموع وجوههم جميعاً ، كل ذلك وهم في غفلة ساهون يفرحون ويمرحون إلا أ كبرهم فكانت دموعه تسابق دموع أمه فيبكيان معاً . وبعد قليل استنجدتْ بجرعات من الزجاجة فشربتها فنامت ثم استيقظت بعد نصف ساعة وكأنما نشطت من عقال ، فاستفاقت وعاد اليها برد الأمل ، وما رأيتها في أوقات مرضها أسعد حالا وأعظم سروراً من تلك الساعة ، وقلت لها : ألم أقل لك كثيراً إن الانسان قد يصل به المرض إلى النهاية ثم يشفى ، وأنا أعرف كثيراً من الناس بهذه المثابة

* * *

وما انتصف الليل أو كاد حتى زلزلت الأرض زلزالها ! ! إنه موقف الموت الرهيب ! ! فرأيت نفسي في مأزق حرج لم أشهده طول حياتي . إنه رسول الموت جاء ليحسم الأمر بعد طول جدال ! جاء « لِتَقْطع جهيزة قول كل خطيب »

ولتحط أمّ أولادي الرّحال بعد طول تهجير فقد أضناها السُّرى وبَرِمتْ بالحياة الدنيا . رأيتها تسلم الروح الى بارئها في يقظة وانتباه ونفسها معلقة بأولادها وكأنها تخاطب رسول الموت : قف قليلا لأشهد السكون أني ذهبت إلى الله وخلّفتُ في الدنيا أطمالاً هم مهجة قلبي وحُشاشة نفسي . قف قليلا لأودعهم الوداع الأخير

ثم مسحتْ آلام المرض الطويل وغسلتْ كل أسقامها المبرحة بكلمة ان أنساها طول حياتي كانت مفتاح الآخرة « دعوني أستريح . أشهد ألا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله » ثم صارت جثة هامدة

* * *

سهرت ليلة من ليالي العمر بَيّضت سواد شعري ، وكلما دقت الساعة دقت معها شعرة من رأسي لتعلن استحالة السواد بياضاً حتى أدركني الصباح

* * *

أنا غريب في هذه المدينة التي صارت مثوى زوجي ، ومرقد جزء من أجزاء نفسي ، وقد غادرت أمي في العاشرة من عمري لأطوف في نواحي الأرض في سبيل العيش الذي بعض عواقبه اليوم

ولا والله ما شعرت بلذع الغُربة يُحرق كبدي إلا في هـذا اليوم العصيب .

* * *

ذهبت مبكراً إلى منزل الصديق الصدوق الأستاذ « مصطفى صادق الرافعي » أحسن الله جزاءه فأيقظته من النوم فعرف سر البكور قبل أن يلقاني وأن قضاء الله قد حمّ ، فجاءني مذعورا فقلت له : « أين مقبرة آل الرافعي مكان للغريبة ؟ »

* * *

ومشينا والنعش يتهادى أمامنا ، فرأيت بعيني سياج حياتي يتحطم ، وضياء بيتي ينطفئ ، وزوجي في ظلمات القبور !

* * *

فيا قبرُ رفقاً بها فقد كانت عزيزة علينا !! ويا أحجارة كوني على جدثها أوراق الجنة

(القاهرة) حسين حسن مخلوف

المتنبي في ديوانه

بمناسبة ذكراه الألفية

للأستاذ عبد الله كنون الحسني

بقية ما نشر في العـــــدد الماضي

وقال المتنبي :

يَترَشفنَ من فمي رشفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيد

فقالوا : لو كان يجد للايمان في قلبه حلاوة لما جعل رشفاتهن من فمه أحلى من التوحيد . ونقول : إن البيت قد روى هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد ، وهي نسختنا أيضاً . وقد قيل إن أفعل غير مراد به التفضيل ؛ وقيل أيضاً إن التوحيد نوع من التمر . وعلى الرواية الثانية يكون شبه الترشيف بحلاوة التوحيد ولا حرج في ذلك ، ومثله مستساغ في مذهب الشعراء . هذه ثلاثة أبيات ليس في شعر المتنبي أكثر غلواً منها ، ومع ذلك فهي لا ترد علينا كما رأيت . أما مذاهب عقليته فنشير اليها حيث يقتضي المقام ذلك ؛ وليس هناك ما يدل على أنها من ذات نفسه ومضمر قلبه أصلاً ؛ وأما مبالغاته في المدح فيصل بها إلى حد المقارنة بين نفسه وممدوحيه وبين الأنبياء

والأمر الأول لاشك لا يؤاخذ عليه لأنه حتى على فرض كونه مما يؤثر في صحة الايمان فمن أين لنا أنه كان يعتقده ؟ وإلا لحاكي الكفر ليس بكافر ، وعلى أنه اعتقده فمن أين لنا أنه استمر على اعتقاده إلى أن مات ؟ وعلى كل حال فالحكم على المتنبي بضعف العقيدة لبعض أفكار فلسفية تضمنها شعره يجعلنا لا نقبل في حظيرة الاسلام أكثر علماء الاسلام من الذين لهم مذاهب فلسفية وأفكار حكمية . على أنه ما من قول موهم في شعر المتنبي إلا وقد وجد في شعر غيره ما هو أكثر إيهاماً منه ، فلماذا لم يحكموا على غيره من الشعراء بذلك الحكم الجائر ؟ ولولا ضيق المجال لعقدنا مناظرة بين أقواله وأقوال غيره من الشعراء في هذا الموضوع حتى يرى القارئ أن المتنبي لا يزيد على غيره إن لم يقصر في ذلك . وإليك قوله مثلا في كافور :

ألا فتى يُورِدُ المهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذي القلوبَ بها مَن دينه الدهر والتعطيل والقدم

فانه هو عين قول ابن الرومي لصاحب لحية طويلة في صورة أخرى من السخرية :

أرْع فيها الموسَى فانك منها – يشهد الله – في أثام كبير
أيما كوسج يراها فيلقى ربّه بعدها صحيحَ الضمير
هو أحرى بأن يشكَّ ويغرَى باتهام الحكيم في التقدير

فلماذا أخذ قول المتنبي دليلا على ميله للتعطيل دون قول ابن الرومي الذي منه استمد المتنبي ذلك المعنى ؟

كذلك الأمر الثاني ، لم يكن المتنبي بارعا فيه ولا بأول ولا آخر ؛ فما زال الشعراء يشبهون ممدوحيهم بالأنبياء بل يجاوزون التشبيه إلى ما هو فوقه ، وذلك معروف من مذهبهم قديماً وحديثاً ، ولا نعني أنه لا بأس به شرعا ، ولكنا نريد أن نقول إن المتنبي لم ينفرد به ولم يطعن أحد بمثله على غيره من الشعراء في عقيدته ؛ وقد وجد ذلك في صدر الاسلام ووسطه ويوجد الآن في هذا العصر ، فمن قول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

ومن قول ابي نواس في الأمين :

ســـخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب

ومن قول أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك يذكر طائرات فرنسا :

لسليمان بساط « واحد » ولكم ألف بساط في الفضاء

فهل هؤلاء الشعراء لا يضربون مع المتنبي على وتر واحد في هذه النغمة ؟

والخلاصة أن المتنبي كغيره من الشعراء صدرت عنه أقوال ظاهرها الاستخفاف بأمر الدين ولكن لا نحكم بمقتضاها أنه فاسد العقيدة حتى نحكم على غيره من الشعراء بله العلماء أنهم كذلك ، فان بعضهم أسوة بعض في هذا الأمر

* * *

وأما أخلاقه فلسنا بحاجة إلى التنويه بما كان عليه من علو الهمة والشجاعة والصدق والوفاء ، فان شعره مملوء بشواهد ذلك حتى لقد بلغ من علو الهمة أن عابه خصومه بهذا الخلق ، فمنهم من لقبه بالمتنبي لتشبيهه نفسه بالأنبياء ، ومنهم من جعل ذلك مرضا

نفسيا أشبه ما يكون بالجنون . والواقع أن المتنبي كان يسرف في التعاظم وإن كان له سلف في ذلك ، فانظر إلى قوله :

أى محل أرتقى أى عظيم أتقى
وكل ما قد خلق اللـه وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرق

فانك لا تجده يختلف عن قول هبة الله بن سناء الملك :

وفرط احتقارى للأنام لأننى
أرى كل عار من حلى سودَدِى سدى

أرى الخلق دونى إذ أرانى فوقهم ذكاءً وعلماً واعتلاء وسؤددا

وبلغ من شجاعته أن لاقى الموت المحقق فراراً من الغدر . وبلغ من صدقه أن قال عنه على بن حمزة إنه ما كذب قط ، وقال هو :

ومن هوى الصدق فى قولى وعادته
رغبتُ عن شعر فى الرأس مكذوب

وبلغ من وفائه أنه رغم ما عامله به سيف الدولة من سوء العشرة ، لم يبرح ذاكراً له متشوقاً اليه ؛ وقد كان يمدح كافورا فيصدر بمدحه ويكثر التأسف على فراقه . ومن شدة وفائه أنه وفى للشيب فلم يقدر على مفارقته إلا حزينا باكيا كما قال :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

هذه أخلاق المتنبي ليس فيها مغمز لأحد ؛ وقد وصف بها نفسه في شعره ، وجاءت سيرته دليلا على صدقه في هذا الوصف . إلا أن الطاعنين عليه لم يعدموا ما يلمزون به أخلاقه أيضاً فقالوا : إنه كان بخيلا ، وبخيلا جداً ، واستدلوا على ذلك بحكايات ملفقة تشم منها رائحة الوضع كما يقول المحدثون ، وبأبيات من شعره إن لم نقل إنها محرفة عن موضعها فلا أقل من أن نقول إنها لا دلالة فيها على ما زعموه أصلا . فأما تلك الحكايات فقد كفانا الأستاذ المازنى أمرها إذ بين ما فيها من زور وما تحتويه من بهتان[1] ؛ وأما أبيات الشعر فإنا ناقلون مما هو نص من شعره فى نفى هذه التهمة عنه ثم مقارنون بينه وبينها ليظهر خطأ الاستدلال بها واضحاً لا خفاء فيه

قال المتنبي يستنجز كافورا ما وعده به من الولاية :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله
فإنى أغنى منذ حين وتشرب

إذا لم تنط بى ضيعةً أو ولاية جودك يكسونى وشغلك يسلب

وقال فيه أيضاً :

وهل نافعى أن تُرفع الحجْب بيننا
ودون الذى أمّلتُ منك حجابُ

فهذا المتنبي يقول إن بغيته فى فضلة من الكأس الذى يشرب بها كافور « يعنى الولاية » لا المال . وإن كل ما وصل من عطاء كافور لم يرفع الحجب بينه وبين ما أمله منه ، ولا شك أن ذلك شيء غير المال . ومن كانت هذه منزلة المال عنده ، لا يحفل به ولا يجعله شيئاً مما أمله ، فكيف يوصف بالبخل ويتهم بالحرص لو كان هناك انصاف ؟ وقد صرح بما أخذ ضمناً من هذه الأبيات فى قوله

وما رغبتى فى عسجد أستفيدُه ولكنها فى مَفخر أستجدُّه

وقال فى شكره لمن وهب له هبة :

وما شكرتُ لأن المال فرحنى سيّان عندى إكثار وإقلال
لكن رأيت قبيحاً أن يُجاد لنا وأننا بقضاء الحق بُخّال

وفى مطلعها ما يشير إلى صدق قوله « جُودك يكسونى وشغلك يسلب » وهذا هو المطلع :

لا خيل عندى أهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

ثم هل بقى من تقبيح البخل أكثر من جعله من مبطلات الصلاة كما قال :

فتى لا يُرجّى أن تتمّ طهارةٌ لمن لم يطهر راحتيه من البخل

فهذه الأبيات وسواها كثير مما هو نص فى المراد ، كيف يصح إغفالها والتمسك بمثل قوله دليلا على بخله :

فلا مجدَ فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

فهل هو إلا مقرر لحقيقة واقعية ، وهى أن المجد مهما كان رفيعاً لا اعتبار له إلا بالمال ، وقد أجمع الناس على ذلك فما يحترمون إلا صاحب المال ولو كان دنيئاً ؟ ولكن ألا تراه مع ذلك قد عقب بأن المال وحده لا اعتبار له عند العقلاء ولا بد من خصال المجد التى هى أساس الاعتبار ؟

وأغرب من ذلك الاستشهاد على بخله بمثل قوله :

(١) حصاد الهشيم ص ٢٢٢ وما بعدها

من يطلب المجد فليكن كعليّ م يهب الألف وهو يبتسم

وقوله:

تمهل قبل تسليمى عليه وألقى ماله قبل الوساد

وهذا لوصح دليلاً على بخل الشاعر لعددنا كل شعراء العربية بخالاً، فإنه لكثرة ما تدوول هذا المعنى، صار لا يخلو منه ديوان شاعر

وإننا لا ننفى أن المتنبي كان جماعة للمال، ولكنه لم يكن يفعل ذلك إلا للاستعانة به على مقاصده كما يصرح هو بذلك فى شعره لاسيما وهو يعلم من أحوال عصره أن الاعتبار كله إنما هو لأهل المال خاصة.

وانظر إلى حكاية البطيخة التى أعطى صاحبها خمسة دراهم فلم يبعها له وباعها بثلاثة لمن يملك مائة ألف دينار لمجرد كونه يملك مائة ألف دينار! فانصرف وقد علم أنه لا يتم اعتبار الناس له إلا إذا جمع مائة ألف دينار؛ وقد كان كذلك، وكل ما صدر عنه فى هذا الصدد إنما هو من قبيل المثل الفرنسى Quand je ferai mon million,

وكم بين من يطلب المال ليستعين به على قضاء حقوقه — وأى حقوق هى! إنها الذرى بحقوق الطغرائى التى يقول فيها:

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلى

وبين من يطلبه لمجرد الحرص عليه وشهوته التى هى مرض من الأمراض، فإن هذا هو البخيل حقاً لا ذاك!

والواقع أننا وجدنا المتنبي صادقاً فى كل ما وصف به نفسه من خلال المجد، فلا يصح أن يكذب فى هذا الأمر لمجرد حكايات الله أعلم بحالها وحال من نحلها إياه! كذلك وجدنا شعره طافحاً بمدح الكرم وذم البخل فى أبيات صريحة لا غبار عليها فلا يجوز أن نغض الطرف عن ذلك ونلجأ إلى الفرض والتخمين محملين بعض ألفاظه مالا دلالة لها عليه لنصحح تهمة أنه كان بخيلا!

وإذ قد فرغنا من الكلام فى النقط الثلاث التى عنينا بها هنا، فلنتساءل ماذا كان مطلب المتنبي فى الحياة ما دام لم يكن يطلب المال لذاته؟

والجواب أن المتنبي كان طالب دولة ولاشك، وكان لا أعدى إليه من أصحاب الدول فى عصره، فهو لو تمكن منهم لما رحمهم، بل نرى شبابه من أن يرحمهم على حد تعبيره هو:

لا يخدعنك من عدوّ دمعه وارحم شبابك من عدوّ ترحم

وقد كان يرى المجد فى ضرب أعناق الملوك:

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

فلو أن الفلك جرى بموافقة سعيه لمصف بدول عصره جميعاً ولو دولة الخلافة، وأقام على أنقاضها دولة متنبية من الطراز الذى يقول فيه أبو الطيب:

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل

وما أصدق ذلك الذى قال على لسان كافور(١) وقد سوّر أنه سئل لماذا لم ينل المتنبي ما طلب منه من الولاية: «ياقوم! من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كيف لا يدعى الملك بعد كافور؟»

وحينئذ فماذا كان يصير لو نجح المتنبي فى مطلبه؟

إن الدولة العربية كانت قد شاخت فى زمنه وتمكن الضعف منها فصارت هامة اليوم أو الغد، وقد رأى هو أن العرب أصبحت تدين للعجم بالطاعة وذلك أمر ليس من صالحهم فى شىء:

وانما الناس بالملوك وما تصلح عرب ملوكها عجم

وان المسلمين أصبحوا فى كل جهة عبيد العصا يسوقهم المتغلب أمامه كما يسوق الراعى قطعان الماشية:

سادات كل أناس من نفوسهم

وسادة المسلمين الأعبد القزم

وقد صار أمرهم مع المشركين بين العجز عنهم والرهب منهم:

أرى المسلمين مع المشركين إمّا لعجز وإما رهب

فاذا قلنا إنه لو نجح فى مطلبه لكان ذلك من الخير للعرب والاسلام. لم يكن فى قولنا هذا شىء من المبالغة لأن الرجل كان قوة هائلة لا تقف عند حد ولا ترجع عن قصد، فكان ينفخ من روحه فى جسم الدولة المتهالك ويهيب بالأمة إلى حياة المجد والعظمة فما يكون بأسرع منها إلى الاستجابة له والاقبال عليه صادعة بأمره صادرة عن قوله:

لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

ليس عزماً ما عرّض المرء فيه ليس همّا ما عاق عنه الظلام

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

(طنجه) عبد الله كنون الحسنى

(١) لأنا نرجح أن نسبة ذلك لكافور لا تصح

التضحية

للأستاذ محمد روحي فيصل

صلاحُ الأمة للبقاء أو قوة حيويتها إنما تظهر أشد الظهور إذا أصاب تلك الأمة شر، أو ألمّ بها خطب، أو انتابتها أزمة في السياسة أو في المال، أو في الأخلاق، مما يجل وقعه، ويشق احتماله؛ ذلك لأن جميع الأمم تستطيع أن تعيش في الرخاء، وتسمو بالنعيم، ولكنها لا تستطيع كلها أن تعيش وتسمو إذا أحدقت بها الشدة، وحفت بها المكاره، وتنكر لها الدهر، وعبست في وجهها الحياة

بلى! قليلة جداً تلك الأمم التي تستطيع أن تعيش وتسمو إبان المحنة والشدائد، لأن كل أمة من الأمم تحتاج حينئذ إلى أن تستمد حياتها من حياة أبنائها، وتعتمد في شفائها على سواعد أفرادها؛ فاذا كان خُلُق التضحية قوياً فيهم، متأصلا في نفوسهم، مشتملا عليه كلهم أو جلهم، نجت تلك الأمة من الشر إن كان نازلا بها، أو تقدمت الى غايتها إن كانت لها غايةٌ عليا تعشقها وتطمح اليها

أما الأمة الأثِرَة التي لا تعرف من التضحية غير اسمها، فهي محكوم عليها بالفناء والموت، لا بد أن يخني عليها الذي أخنى على لُبَد

لما اشتدت الأزمة المالية أخيراً على الأمة الانجليزية رأينا كيف أن مظاهر التضحية لم تنحصر في رؤساء الأحزاب فحسب، وإنما تعدتهم إلى الأفراد رجالا ونساء، فكانت الفتاة الفقيرة تهب سوارها الذهبي الذي أهدته اليها أمها قريرة العين طيبة الخاطر؛ وكانت العائلة الفقيرة تتنزل راضية عن جنيه من كسبها الذي لا تحصل عليه إلا بشق الأنفس وترفقه بكلمة كهذه:

« مساعدة متواضعة لملكنا وشعبنا من أسرة (فقيرة) »

كذلك كل أمة نالت شأوا بعيداً في المجد، وبلغت مكانة عالية بين الأمم، ما نالت ذلك الشأو وما بلغت تلك المكانة، إلا بتضحية أبنائها أمامها بالأنفس والأموال تضحية صادقة صحيحة! ولعمر الحق ما كانت تكون لأجدادنا العرب، أبناء الصحراء، وساكني الجزيرة، تلك السيادة الرفيعة، وذلك السلطان المرهوب، لو لم يكونوا متشبعين بخُلُق التضحية إلى أقصى مدى

ونحن، إذا كنا قد تنبهنا بعد الغفلة واستيقظنا بعد النوم، فاستأنفنا طريقنا إلى العلياء وطالبنا بحريتنا المسلوبة واستقلالنا المفقود، فانما يجب أن نتجشم تكاليف ما نطالب به ونضحي لنيله القليل والكثير، ونتحمل ما نلاقي في سبيله من ألوان المكاره وضروب المشاق، ونصبر على صنوف العقبات حتى يلين صلبها ويسهل صعبها، فانه لا تنال المطالب إلا مكافحة ومغالبة، لأن الحياة معركة، فالم يدرك فيها باللاينة والمحاسنة، أدرك بالعنف والمخاشنة ... !!

إن رجال هذه الأمة جميعاً ثلاثة: رجل لا علم له بما عليه من الواجبات نحو وطنه فلا يعنيه شأنه، ولا يهمه أمره، ولا يعبأ به ولا يحفله، فهو جاهل؛ ورجلٌ أخذ من الدين بقشوره، وشرب من مورده العذب مصة خفيفة ظنها غاية ما يرتوى به المرتوون، فقضى أوقاته في البحث في الحيرة والحيض والنفاس، ونصب نفسه لمعاداة كل جديد وإنكار كل ما لم يألف، فهو جامد؛ ورجلٌ يجري وراء منافعه الشخصية أينما رآها وتخيلها، رآها في جانب مصلحة عامة فيظاهر في زي المصلح الداعي إلى هذه المصلحة ويملأ الجو نداء للتعاون عليها، حتى إذا تراءت له منفعة خاصة لا يصل اليها إلا أن يقضي على ما ينفع الناس والوطن داسه بكلتا قدميه، وذهب إلى منفعته تواً لا يلوي على شيء، فهو خبٌّ منافق

فاذا أزيل عن الأول جهله، وأزيح عن الثاني جموده، وشنّع على الثالث خبّه ونفاقه، وعمل على بث خلق التضحية فيهم وتقويته عندهم، مع تبصيرهم بمقتضيات الأحوال كما يقول البديعيون — إذا فعل هذا عظمت الفائدة، وتوفرت العائدة على الوطن، وسارت الأمة مسرعة إلى مطمحها

(حمص) محمد روحي فيصل

السنيون والشيعة والمؤتمر

للأستاذ محمد رضا المظفر

لأول وهلة بدا لى أن أنسحب بعد مقال الأستاذ (أحمد أمين) المنشور فى (عدد الرسالة ١٢١) ، ولا أدخل فى هذا الموضوع من جديد ، لأنه قرر أخيراً : « أنه سوف لا يرد على من يتخذ بعض ما جاء فى مقالته وسيلة لاثارة النزاع من جديد إلا أن يفتح صاحبها مجالا للكلام فى مشروع المؤتمر أو وسائل الوفاق » فخشيت أن أكون عند الناس أو عند نفسى (وهى لا تحب لى الرذيلة) ممن يتجنَّب النزاع أو يسعى لتعكير صفو الأخوَّة التى ظهرت بشائرها فى العالم الاسلامى ، ولهذا — أو لشىء آخر لا أدرى — وُضع هذا التقرير الصريح

ومن جهة أخرى ، تخوَّفت أن يكون حديثى هذا من (لغو الصيف) وإن كنا نستقبل الشتاء ، فلا أجاب عليه بعد ذلك التقرير ؛ وليست فكرة المؤتمر — وبالأصح حلم المؤتمر — تلك الفكرة الناجحة والحلم الصادق فيما أعتقد (وسأعود إليها) ، حتى أستنزل بعلاجها طرْف الأستاذ لميدان هذا الموضوع

كل ذلك دار فى خَلَدى ، وأكثر من كل ذلك صرفنى عن كل هذا الحديث ، حتى مضى علىَّ هذا الزمان ، وأخيراً أراجع إلى طوية نفسى فأجدها جد مؤمنة بوجوب السعى لتحقيق فكرة الاتفاق ، وتوحيد كلمة المسلمين ، مهما اختلفت وجهة النظر مع الأستاذ أو مع غيره ، وهنا فليقرر الأستاذ ما يشاء ؛ وليقل الناس ما يحبون !

ولعلَّ الرسالة تفتح صدرها الرحب لكاتب يقف للفرص يتتبعها ، لازالة ما قد يسىء للاتفاق بين الطائفتين ، ويشهد حديث كتابها أو غيرهم من كتب ، حتى لا يتكلموا عن الشيعة كأمة غائبة فى مجاهل المفاوز ، لا سمع لها ولا لسان ، فى حين أن رجال الشيعة تتبع الأحاديث عنها فى الصحف والكتب بكل إصغاء ، وقد لا تشاء الرد والجواب ، كما وقع فى العام الماضى فى الرسالة بين الأستاذين ، عبد الوهاب عزام ، وأمين الخولى ، فى قضية مكة ومشهد الحسين

وكم يضحكنى ما يكتب عن الشيعة كأنها من الأمم الخوالى (ولتعرف من الآن أنا لا نفهم من كلمة الشيعة إذا أطلقت غير الأمامية) ، فتنسب لها عقائد وآراء لا تعرفها ، وكثير من رجالها صامتون كأن الحديث مع غيرهم ، ثم يحرقون الأرَّم من غير طائل ، وليس من الصحيح هذا التسامح الذى جر ما جر من تباغض وشنآن ، وربا على ما خلف لنا علماء أمس رحمهم الله ، وزاد فى الطين بلّة ، وربما تصبح الطريق بعد هذا زَلقاً لا تصلح لسير الأقدام إلا بما لا يحمد ، كما كان فى العصور السالفة ؛ وكان من الواجب أن يبادر إلى علاج هذه الناحية قبل فوت أوان العلاج ، والحرية الصحافية ضربت أطنابها فى البلاد ، وخصوصاً فى مصر ، فأعجب أن يُسأل صاحب المقتطف — مثلاً — عن الشيعة ، فيجيب عنهم بما يعلم — وهو معذور — ولا يرد عليه واحد منهم وهو لا يأبى عن ذلك ، ولا يأبى أن نزيد عله فيهم . إذن بعد هذا لمَ لا أتقدم بنفسى لهذا الواجب ؟

هذا سؤال وجيه ، وعلىَّ أن أجيب عنه بكل صراحة وإخلاص : كم هناك من مباحث وددت كشف غطاء الحقيقة عنها — لو كنت من أهل ذلك — فأتقدم إلى القرطاس ، وأحاول أن أجرد قلمى من لحاء التعقيب لعقيدتى التى نشأت عليها ، وغذيتها فى لبن التربية ، لا طلب الحقيقة بالبرهان ، ولا أكون ممن يتطلب البرهان للعقيدة ، ولكن أجد محاولتى الباطلة ، فأبحث عن قلمى ، فأراه قد تألف من مجموع قشور ، وأخيراً لا أجد قلماً أحمله لأكتب به

وهكذا العقائد العامة ليس فى وسع أحد أن يتجرد عن تبعتها مهما تخيل أنه سيذهب عنها ناحية ، ولا بد أن تنزله لحضيضها ، ورُغم على غذائها ، فيما يكتب وفيما يعمل ، فترتكز عليها أقواله وأفعاله ، من حيث يدرى ولا يدرى ؛ وعلم النفس يصدقنى — وعلى الأقل لا يكذبنى — فى هذه الدعوى

ولا أعتقد أن امرءا استطاع أن يحرر نفسه من عقيدته ، مادامت له عقيدة يستمسك بها ، أبى الأستاذ « أحمد أمين » أم لم يأب ؟

ولكني أرجو أن يوفقنا الله في جهاد سورة النفس في تعصبها، وقمع غلوائها، فيما إذا اعتقدنا بعظم النتيجة وفائدتها للجميع؛ وعسى أن نصيب هدف الحقيقة بعد حين بهذه الحيلة؛ وهذا هو الذي يطمئنني أن أنزل إلى هذا الميدان الوعر المسالك، ومن ورائي جمعية (منتدى النشر) تقبض على ناصيتي

ولقد كانت وجهة نظري القاصر – ولا بد أن تعرفها من حديثي المتقدم ومقالي السابق – أن نفتح لنا باباً للتفاهم في أصل عقائدنا وصحتها – مهما كان في ذلك من الخطورة – فندخل في بحث علمي أو تاريخي، كسائر أبحاثنا العلمية والتاريخية، ونتلقى النتائج بصدر رحب، وذكرت في مقالي السابق: ما هي النقطة التي يجب اتباعها في البحث؟. وذلك هو الذي فهمته أيضاً من كلام الأستاذين محمد بك كرد علي واحمد امين في المرة الأولى، وعلى هذه النغمة جست وترى، ومضيت مطرباً الى حد بعيد وحقاً «إن البحث العلمي لا يمنع التفاهم والوئام، بل هو إذا نظر اليه النظر الواسع العالي سبب من أسباب الألفة»

إلا أني بعد هذا وجدتك – أيها الأستاذ – تذهب بعيداً وتنتقل مفاجأة إلى حديث عقد مؤتمر بين الطائفتين في العراق، فما ذا تقصد من المؤتمر؟ وعلى أي خطة ولأي غاية يجب أن يسير؟ هذا الذي بعد لم أحط به علماً، ونزولاً عند رغبتك أدخل في الموضوع ما انفتح لي بابه:

لا شك أن عقد مؤتمر بين الطائفتين – على أي وجه يكون – لا يمكن التوصل إلى تحقيقه، بمجرد تفكير واحد واقتراح آخر وتأييد ثالث، مهما كان المفكر والمقترح والمؤيد فلا بد أن يختمر في العقول بنقد ورد ويدرسه على جميع وجوهه حتى يستقر على فكرة واحدة ووجه واحد، ويعم صوته الاسماع النائية والقريبة، ويساهم في درسه العالم والسياسي، ويقتنع به ولاة الأمور – ولا بد من اقتناعهم أو إقناعهم – كعمل لا بد منه، ثم تنتهز الفرص للعمل على تحقيقه، ويسعى باخلاص لتأسيسه، على سنة الارتقاء والتدرج، أو كما قال معالي العلامة الشبيبي

خواطري اليوم أقوالي ومعتقدي   غداً وغرة أعمالي وراء غد

لقد سمعنا بحديث هذا المؤتمر وسعي بعض رجالات الطائفتين لتأسيسه، وسمعنا باختلاف التفكير في خططه، كل هذا سمعنا، واتضح لي مما سمعت ومما قرأت أيضاً أنه مازال أمنية لم تشبع درساً وتدقيقاً؛ وكل عمل كبير مثل هذا لا بد أن يكون كذلك وأكثر. فلنفرض أن المؤتمر انعقد في العراق، واجتمع أعضاؤه لدرس خططهم، فعم يتساءلون؟

يدرسون مذهب الشيعة وأهل السنة – وعلى الأصح مذاهب المسلمين – وأسباب الخلاف بينهم، كأجانب عن المذهبين، ثم يتفقون على الصحيح، أو قل: على جوهر الاسلام الحقيقي الذي جاء به الرسول عن الله، ويطوحوا بالقشور وبما ألصق بالحنيفية الصافية – ولا بد أن يكون هناك لباب وقشور وحق وباطل لا محالة – ليحملوا الأمة الاسلامية جمعاء على الاسلام الصحيح، الذي يفهمه روح الاخلاص والبحث النزيه

حلم لذيذ! لو صدقناه لكنا خيرا منه ونعم الخلف الصالح. ولاسترحنا من آلاف الكتب التي ألفت في هذه الشؤون، وجرت على المسلمين الويل والثبور، وأضاعت من أوقات العلماء كل غال ونفيس درساً وتأليفاً، فصرفتهم عن كل عمل ينفع الأمة ويجر اليها المغنم، طيلة هذه القرون

ولكن – بالله عليك – هل رأيت حلماً أكذب من هذا في أضغاث الأحلام، وأمنية أبعد منها في الأماني؟ كيف يتفق أولئك على الصحيح؟ وعماذا يحملون الرأي العام على اعتناقه؟ أبالقوة يعتنق هؤلاء الدين الجديد عندهم؟ أم بالتقليد لأولئك النفر القليل؟ أم بطريق الحجة والاقناع؟ كلا! كل هذا ليس من السهل، أو ليس من المستطاع؛ وإذا جاز أن يقع مثله في أول الدعوة إلى الاسلام من نبينا وأصحابه، فليس من الجائز أن يقع في هذا العصر من مؤتمر يؤلف من علماء الطائفتين المتخالفتين في بؤرة الخلاف، وهل يصح أن نكتفي بهم وحدهم أو بالخاصة معهم – لو جاز أن يتفقوا – ونستغني عن اتباع السواد لهم

وأكبر الظن أني تياسرت عن الغرض في تأويل هذا المؤتمر المقصود، إذن فعم يبحثون؟

لنتركهم يعملوا لايجاد عوامل الالفة والصداقة الودية بين الفريقين، ولذبح النعرة الطائفية على أعتاب الاخوة الاسلامية

ليدخلوها بسلام آمنين ، ولتبق بعد هذا كل طائفة على عقيدتها وأعمالها ، كمذاهب أهل السنة فيما بينهم ، وكالشيعة لما يختلفون فى تقليد مجتهديهم ، وهناك تتجلى الكلمة الذهبية الخالدة : (إنما المسلمون إخوة)[1] ، وقوله عليه السلام : (المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً)[2] . وينظر عندئذ المؤتمر فى دعوى من يدعى غمط حقوقه كحكمة كبرى اسلامية ، ويأخذ على الأيدى العابثة من كتّاب وغيرهم بالوسائل التى يختطها ويستطيعها

وظنى أن هذا المؤتمر هو الذى يرمى اليه اخواننا فيما فكروا وتحدّثوا وكتبوا ، وهناك ملحوظات يجب ألاّ نغفل عنها :

هذه الدعوة إلى الاتّحاد ونبذ النزعات الطائفية ، والتفرقة الشائنة ، هى إحدى الأسس القويمة التى بُنى عليها الحكم الوطنى فى العراق – كما ذكرت فى مقالى السابق – ورؤساء الطائفتين يومئذ لم يُقصّروا فى توجيه الرأى العام نحو هذه الفكرة الجديدة التى لم يدع لها العهد التركى البائد مجالاً للظهور أو لبذرها فى العقول ، واستطاعوا فى أقصر وقت أن يكهربوا الفكرة العامة بتيّارهم ، حتى إنك كنت تسمع الهتاف بالوحدة يبلغ عنان السماء فى جميع محافلنا ومجالسنا ، وكان الرجل يخشأ أن ينبس بكلمة واحدة تشتمّ منها رائحة الخلاف ، وعلى ذلك أعوام – أو أيام – مضت ، حتى تغير بعض النفوس ، وتبدل كثير من النوايا ، ولا ندرى لماذا كان ؟ ! وهل يجوز أن نقول لا ندرى ؟ لا أدرى !

واليوم – بحمد الله – تجد الحال كما هى ، لم تتبدل تلك الظاهرة المحبوبة ؛ ولكنها فقاقيع على الماء من ارتفاع درجة الحرارة ، وليست هى كل الماء – كما يقول الأستاذ أحمد أمين – أو ليس وجودها إلاّ لتظاهر فقط لا لتنفع – كما يقول الأستاذ الرافعى – لأن هذه الظاهرة احتفظت بها السياسة وحدها واكتفت بها ، ولم تأخذ بها الأمة عن طريق الرغبة فيها ، والاقتناع بضرورتها وثمراتها ، فى حين أن الدعوة اليها قد تضاءل نبراسها إلى حد كاد معه ينطفئ ، وما أدل على هذا من أن السنيّ الداعى إلى الوحدة يصبح متشيعاً فى نظر أصحابه ، والشيعى الداعى إلى الوحدة يصبح سنياً فى دعوى اخوانه ، وهذا ذنب كبير عندهم لا يُغتفر !

ولذلك يسود الاعتقاد اليوم أن الدعوة الأولى كانت كلها خداعاً فى خداع ؛ ومن رجالنا من لا يزال مستمسكاً بها إلى اليوم ، فينسب إلى غفلة أو سذاجة ، وهذا هو الداء الدوى

فاذا أردنا أن نؤلف هذا المؤتمر فى العراق ، فانما نريد أن نعيد تلك الفكرة لتنفق المرة ، وقد لاقت فى مبدأ الأمر سوقاً رائجة ، ثم كسدت تلك السوق ، ويبيع فيها الرأى العام بأبخس ثمن ، وبدراهم معدودة ؛ ومن الصعب جداً أن نعمل عملاً مجرباً بتشاؤم منه ؛ واعتقد أنه سيكبد القائمين مجهوداً كبيراً من هذه الناحية ، ويحتاج إلى زمن ليس بالقصير ، لتحوير الأفكار ورسوخ العقيدة من جديد ، تتخلله الدعاية الواسعة من القادة وذوى العقول المخلصين : وتقريباً للمسافة أجد من الضرورى أن تنضج هذه الفكرة خارج العراق أولاً ، ثم تدخل العراق لتستطيع أن تهضمها الأفكار بسهولة

ومن المرجح أن هذا المشروع لا يلاقى الفشل بعد تشكيله فى هذه المرة إذا كان القائم به مؤتمراً منظماً يبنى على أسس متينة ونظم واضحة ، وإذا كان مؤسسو المؤتمر يحملون فى حقائبهم إخلاصاً صادقاً وعقيدة ثابتة ووطنية صحيحة ، والعراق فى دور الاستقلال ، وما فشل لأول مرة إلا لأنه كان عملاً فوضوياً اندفع إليه المجتمع كسائر اندفاعاته التى لا يقودها العقل والرأى — على حسب قانون المجتمعات — فاستغلته السياسة الوقتية ، ثم لعب أهل الأغراض والمطامع ومن خلفهم الاستعمار أدوارهم — وبالطبع يتلاشى هذا الظل بعد حين ، متى طلعت الشمس ولا بد أن تطلع — ، ولا مؤتمر مسئول ولا جمعية مخلصة تحاسب الناس على أعمالهم

النجف الأشرف　　　　محمد رضا المظفر

---

(١) كذا　(٢) كذا

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

يكتشف مكروب السل

بدت لكوخ طلائع النجاح ، فقضى أشهراً يؤكده بالعمل المتواصل ، والتفصيل الملّ ، والصبر النادر ، والدقة المتناهية ، والحذر البعيد . تجد كل ذلك منه إذا أنت قرأت تجاربه المتكررة العديدة فى تقريره التاريخى عن داء السل ، وقد ولّد من هذه البشلات ثلاثاً وأربعين أسرة مختلفة ، ولّدها على فالوذج المصل فى أنابيبه المائلة من القردة المسلولة والفئران والخنازير الغينية العليلة

ولم يستطع توليدها إلا من حيوانات أصابها السل أو ماتت من جرّائه ، وقضى أشهراً يرعى تلك القتَلة الصغار رعى الحاضن ولدها ، وكان أكبر همه ألا يدخلها من أخلاط المكروبات الضالة شىء

قال كوخ : « والآن إذ ولّدت بشيلاتى هذه خالصة ، فلم يبق لى إلا أن أحقنها فى خنازير غينية سليمة ، بل فى كل نوع من حيوان سليم . فإذا أصابها السل علمتُ علم اليقين أن هذه البشلات ضرورة لازمة لاحداثه ، وأنها علته التى لا شبهة فيها »

وقام كالمجنون الذى ركب رأسه لفكرة ملكت عليه منافذ السُّبُل ، فقلب معمله فصار أشبه شىء بحدائق الحيوانات ، وأصبح يتجهّم الناس ويتهكم بزوّاره المتشوفين لما عنده حتى صار غولاً ألمانياً صغير الجرم حقودا ، وعقّم عشرات المحاقن وحده ، وزوّدها بمكروبه الأحدب من زريعاته التى على فلاذج أمصاله بعد أن دافه بقليل من الماء ، ثم أطلق هذا المكروب من هذه المحاقن كالسهام فى جلود الخنازير والأرانب والدجاج والجرذان والقردة والفئران . ثم زمجر فقال : « لا يكفى هذا . فلا بد من إطلاق هذا المكروب فى أنواع من الحيوانات لا يُعرف أن السلّ أصابها أبداً » ، وخرج عن ألمانيا يطوف البلاد يجمع لمعمله . ثم عاد فحقن بَشِيلاته ، المعززة عليه الشديدة على غيره ، فى سلاحف وعصافير وخمس ضفادع وثلاثة من ثعابين الماء

وفى نوبة ذهب فيها عقله شاء أن يتم تجربته الغريبة بحقن مكروبه فى سمكة مرجان goldfish

ومضت أيام تلو أيام ، وتلاحقت الأسابيع ، وفى كل يوم منها ذهب كوخ إلى (ورشته) فى الصباح واتجه تواً إلى أقفاصه وجراره التى احتوت هذه الحيوانات الخطيرة . أما سمكة المرجان فظلت تفتح فاها وتغلقه وهى تعوم عوم الوادع الآمن فى طاسها الكبير ذى البطن العظيم . أما الضفادع فظلت تنق نقيق من لا يأبه لشىء . وأما ثعابين البحر فكانت على عهدها نشيطة رشيقة فى انزلاقها على الماء ، وأما السلاحف فكانت تخرج رأسها أحياناً من بيتها العَظْم وتطرف بعينها لكوخ كأنها تغمز به وتقول : « إن مكروبك ياسيدى المعزز غذاء صالح لنا ، فهل لديك من مزيد ؟ »

تَسلمت هذه الحيوانات من محاقن كوخ ، ولا عجب ، فهى فى حياتها العادية منيعة على السلّ . أما الخنازير الغينية فأخذت تميل ثم تتساقط على جنوبها تلهف على الهواء وتستدر الرحمات ثم تموت وقد براها السل برياً شديداً

والآن وقد أتم كوخ آخر حلقة من البرهان الذى أراده ، تهيأ ليعلن للدنيا أن البشلة التى هى سبب السل الحق قد اصطيدت ، قد اكتُشفت ! وما كاد يهمّ بالاعلان حتى خطر له أن للبرهان ذيلاً لا بد من إتمامه . قال : إن الناس لا بد آخذة هذه البشلات استنشاقا مع تراب الهواء ، أو لعلهم آخذوها من المسلولين إذ يسعلون . فليت شعرى أتأخذه الحيوانات السليمة بهذه الطريقة أيضاً ؟ » وماعتّم أن قلّب وجوه الحيلة لاجراء هذه التجربة الخطرة . وارتأى أن يرش البشلات رشاً فى وجوه الحيوانات . وتلك مخاطرة من دونها فتح أبواب السجون لعشرات الألوف من القتلة السفاحين

ولكن كوخ كان مشبعاً بروح الصيد ، فعرف أنه لا بد له من مواجهة الأخطار التى لا مندوحة لصيّاد عنها . فصنع صندوقا كبيراً فى الجنينة ووضع فيه الخنازير الغينية والفئران

شعراء الديباجة

أدب البارودى وشعره

بمناسبة انقضاء مائة سنة على مولده

للأستاذ أحمد الزين

تتمة

أما شاعرية البارودى فقد قدمت لشأنها صياغة عصور غابرة، ووليدة بيئات منقرضة، إذ لم يُسبَق بنهضة أدبيّة نما فيها ذوقه العربىّ، ولم ينشأ فى بيئة عربية ترعرع فيها فنه البيانىّ؛ بل كان هو باعث تلك النهضة بعد أن لم تكن، ومُطلِعَ ذلك النور بعد أن خبا، والمجلى فى حلبة البيان الذى لم يسبقه أحدٌ قبله وجاء على أثره مَن بَعده، ومكوّن تلك البيئة بعد أن كانت مصر قبلَه وفى صدرٍ من عهده ممحلةً من الأدب والأدباء والشعر والشعراء إلا القليل ممن لا يُعتدّ بشعرهم، ولا ينبغى أن تسجَّل أسماؤهم فى الشعراء إلا تسجيلا تاريخيا لمن أراد أن يكتب سجلا جامعاً، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها

إلا أن تلك النهضة التى بعثها من مرقدها لم تكن نهضة تجديدية فى الأفكار والمعانى؛ وتلك الوثبة التى وثبها لم تكن وثبة انقلابية فى تصوير ما حوله من المشاعر والاحساسات؛ وهذه الخطوة التى خطاها لم تكن خطوة تطوّريّة فى مسايرة روح العصر وتوجيهه إلى ما يريده الشاعر لأمته وبلاده من المثل الأعلى فى الآمال والأغراض، بل كانت نهضةً بيانية لا أكثر، متعلقة بجودة العبارات، واختيار الألفاظ، وإحكام النَّسْج، ومتانة التركيب، والجرى على مذهب القدماء فى الفخامة والجزالة؛ فلا تكاد ترى فى شعره ما يعبر عما حوله من أحاسيس أمته وأوطانه، إلا القليل مما تراه منتثرا فى ديوانه؛ وسبب ذلك يرجع إلى أن شاعريته كما قدمتُ لك من صياغة الكتب والدواوين، وصناعة هؤلاء الشعراء المتقدمين؛ فكان يعيش بشعره فى عصرٍ غير عصره، وكان أشبه بالعاشق المولّه الذى يجالس القوم بجثمانه، ويكلمهم بلسانه، وهو مع معشوقه وسالب لبّه بروحه ووجدانه

وهنا ينبغى أن نشير إلى مخالفتنا لما رآه بعض كتاب النقد فى شعر البارودىّ، فقد قسّم الشعر إلى أربعة أقسام، وهى شعر التقليد الضعيف، وشعر التقليد القوى، وشعر الابتكار الذى يوحيه الشعور بالحريّة القوميّة، وشعر الابتكار الذى يوحيه الشعور بالحرية الفردية؛ وذكر أن شعر البارودى فى طليعة النوع الثالث، وهو شعر الابتكار الذى يوحيه الشعور بالحرية القومية

وعندى أن شعره لا يعدو النوع الثانى من هذه الأنواع الأربعة، وهو شعر التقليد القوى؛ وهذا هو سر شغفه بمحاكاة الفحول من شعراء المتقدمين ومعارضتهم فى مشهورات قصائدهم كأبى نواس، والشريف الرضى، وأبى فراس، والبوصيرى، وغيرهم؛ وفى رأيى أنه لم يبلغ أحدا من هؤلاء، وإن كان قد قاربهم بعض المقاربة، وذلك لأنه مقلّد، والتقليد كما حدثتُ اليك من قبل أضعف من الأصل مهما يبالغ المقلد فى إحكام المشابهة وإتقان المحاكاة. وإنك لتقرأ القصيدة من شعره فلا توقظ عاطفة من عواطفك، ولا تحرك شجناً من أشجان نفسك، ويخيّل لك أنك سمعتها قبل ذلك عدة مرات؛ والحق أنك قد سمعتها، فان لم تكن قد سمعتها بألفاظها، فقد سمعتها بمعانيها

والأرانب. وأوصل من شباك معمله خرطوماً ينتهى طرفه فى الصندوق برشاشة. وقعد هو فى معمله عند طرف الخرطوم الآخر يحرك مِضخّة ينبعث من تحريكها فى الصندوق ضباب من البشلات قتّال يستنشقه ما فى الصندوق من حيوان، وقام كوخ يحرك المضخة نصف ساعة كل يوم طيلة ثلاثة أيام. وعند فوات عشرة أيام وجد ثلاثة من الأرانب تتنفس سريعاً فى طلب هذا الهواء الغالى الذى عجزت رئاتها المريضة عن إعطائها إياه. ولم تمض خمسة وعشرون يوماً حتى كانت هذه الخنازير قامت هى أيضاً بنصيبها المتواضع من هذه المأساة المجيدة فمات الواحد تِلوَ أخيه مسلولا

ولم يذكر لنا كوخ كيف صنع لاخراج هذه الحيوانات من صندوقها وقد عمّه وعمّها الوباء، ولم يحدثنا ما الذى صنعه بهذا البيت الصغير الذى بناه بعد أن ابتلت حيطانه بهذا الرشاش الفتاك. ولعمرى لقد أضاع صمتُ هذا البحّاثة الهادئ المتواضع بصمته عن ذكر هذا فرصة ثمينة لمن همّه الفخرُ وطلب المباهاة

(يتبع) أحمد زكى

فى شعر العباسيين وغيرهم من المتقدمين ، حتى أن قصائده التى قالها فى صفة الحروب وأهوالها ، والميادين وأبطالها ، وافتخاره بالاقدام إذا حمى الوطيس واشتد الخوف وجاشت نفس الجبان لا تراها تتميز إلا فى القليل النادر بمعان جديدة وأفكار مستحدثة عن شعر المتقدمين فى صفة ذلك ، حتى إنك لو لم تعرف أن قائل هذا الشعر هو البارودى لحسبت أنه شاعر عباسى يصف إحدى غزوات الرشيد أو المأمون فى خراسان أو فى بلاد الروم . وإلا فأى جديد مستحدث يلفت ذهنك اليه ، ويجتذب قلبك نحوه ، تراه فى قوله :

فلا جوّ إلا سمهرىٌّ وقاضبُ ولا أرضَ إلا شمَّرى وسابحُ
ترانا بها كالأسد ترصُد غارةً يطير بها فتق من الصبح لامحُ
فلست ترى إلا كماةً بواسلا
وجُرْدا تخوض الموت وهى ضوابح
نُغير على الأبطال والصبح باسمٌ ونأوى إلى الأدغال والليل جانح
بكى صاحبى لما رأى الحرب أقبلت بأنيابهــا واليوم أغبر كالح
ولم يك مبكاه لخوف وإنما توهم أنى فى الكريهة طائح
فقال اتئد قبل الصيال ولا تكن لنفسك حربا إننى لك ناصح
ألم تر معقودَ الدخان كأنما على عاتق الجوزاء منه سرائح
وقد نشأتْ للحرب مُزنة قسطل
لها مستهلٌّ بالمنيـــة راشح
فلا رأى إلاّ أن تكون بنجوة فانك مقصود المكانة واضح
فقلت تعلّم إنما هى خُطّة يطول بها مجدٌ وتخشى فضائح
فقد يهلك الرِّعديد فى عقر داره
وينجو من الحتف الكمىُّ المشايحُ

الخ . . . . . .

وقد كان ينبغى أن يتميز شعره فى صفة الحرب عن شعر المتقدمين ، ولا يحاكيهم فى كثير ولا قليل من معانيهم فيها ، وذلك لما باشر من وقائعها ، وخاض من غمراتها ، وتمرض لمخاوفها ، ولما امتلأت به نفسه من حبها ، والتمدح بالاسراع اليها ، ولما تميزت به الحروب فى عصره عن الحروب فى العصور الماضية ، واختلفت فى صُوَرها وآلاتها وترتيبها عن الحروب أيام تقسيم الغزاة إلى شاتية وصائفة

ومما يعاب على البارودىّ ويؤاخذ به قلة شيوع الشعور الوطنىّ والاحساس المصرىّ فى شعره ، وخلو قصائده إلا فى القليل النادر من العاطفة القومية ، وإنما استثنيتُ القليل النادر لما له فى ذلك من القصائد اليسيرة التى قالها وهو فى منفاه بسرنديب كقوله من قصيدة :

هل من طبيب لداء الحب أو راق
يشفى عليلا أخا حزن وإيراق
قد كان أبقى الهوى من مهجتى رمقا
حتى جرى البين فاستولى على الباق

وفيها يقول :

يا روضة النيل لا مسَّتك بائقةٌ ولا عدتك سماءٌ ذات اغداق
ولا برحت من الأوراق فى حلل
من سندس عبقرىّ الوشى برّاق
يا حبّذا نَسَمٌ من جوّها عَبِقٌ
يسرى على جدول بالماء دفّاق
مرعى جيادى ومأوى جيرتى وحِمَى
قومى ومنبتُ آدابى وأعراق
أصبو اليها على بُعــد ويعجبنى
أنى أعيش بها فى ثوب إملاق
وكيف أنسى دياراً قد تركتُ بها
أهلا كراماً لهم ودّى واشفاق
فيا بريد الصَّبا بلغ ذوى رحمى
أنى مقيم على عهــدى وميثاق
وأنت يا طائرا يبكى على فنن
نفسى فداؤك من ساقٍ على ساق
أذكرتنى ما مضى والشمل مجتمع
بمصر والحربُ لم تنهض على ساق

الخ . . . .

ولعلّ السرّ فى عدم شيوع ذلك الشعور فى شعره وقلة ظهور هذه العاطفة فى قصائده يرجع إلى أنه سليلُ عائلة من الأتراك الذين يرون أن سيادتهم فى مصر لا تتمّ إلا بالترفع عن مخالطة أهلها ، وعدم مشاركتهم فيما يشعرون به من آلام وآمال ، ويرون أن الاتصال بطبقات الشعب تَثلُمٌ فى عزّتهم ، وانتقاص من سيادتهم

واليك طرفاً من قصيدته التى استقبل بها مصر حين عاد من منفاه، قال :

أبابلُ رأىَ العين أم هذه مصر ... فانى أرى فيها عيوناً هى السحر
نواعسُ أيقظن الهوى بلواحظ ... تدين لها بالفتكة البيض والسمر
فان يك موسى أبطل السحر مرة ... فذلك عصر المعجزات وذا عصر
بنفسى وإن عزت علىّ ربيبةٌ ... من العين فى أجفان مقلتها فترُ

الخ .. ..

فأنت ترى أنه لم يزد فى استقبال وطنه على ذكر ما فيه من الجمال النسوىّ الشائع بين جميع الأمم ، والمشترك بين مختلف الشعوب ، ولم يقل فى قدومه إلى مصر إلا ما يقوله قادمٌ على أىّ بلد من البلاد المشهورة بهذا النوع من الجمال ، وإن لم يكن وطنه . ثم انظر هذا الاحساس الوطنىّ المتدفق ، والعاطفة المصرية الفياضة فى قصيدة شوقى التى استقبل بها مصر حين عاد من منفاه بالأندلس ، إذ يقول :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس ... كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
وكلُّ مسافر سيؤوب يوماً ... إذا رُزق السلامةَ والايابا
ولو أنى دُعيتُ لكنت دينى ... عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى ... إذا فُهْتُ الشهادة والمتابا
هدانا ضوءُ ثغرك من ثلاثٍ ... كما تهدى المنوّرةُ الركابا
وقد غشّى المنارُ البحر نورا ... كنار الطور جلّلت الشعابا
وقيل : الثغر ، فاتأدت ، فأرست ... فكانت من ثراك الطُّهر قابا

وقوله وهو فى منفاه أيضا :

وطنى لو شغلت بالُخلد عنه ... نازعتنى اليه فى الُخلدُ نفسى
وهفا بالفؤاد فى سلسبيل ... ظمأ للسواد من (عين شمس)
أحرامٌ على بلابله الدّوْ ... ح حلال للطير من كل جنسِ
كل دار أحق بالأهل إلاّ ... فى خبيث من المذاهب رجس

وهنا قد يخطر بذهنك أن تسأل عن العوامل المؤثرة فى شعر شوقى هذا الأثر الظاهر ، وميزته عن شعر البارودى هذا التميز الواضح ، وجعلته فياضاً بهذه العاطفة القومية ، مفعماً بتلك الاحساسات الوطنية ، فلا تكاد تقرأ قصيدة من قصائده خالية من ذكر مصر والفخر بماضيها ، والألم لحاضرها والأمل القوى فى مستقبلها ؛ ولا تبعد عن الحق كثيراً إن قلت إن شوقى لم يُجد إجادة تامة إلا فى هذه الأغراض ؛ وأقول فى جواب هذا السؤال إن سر ذلك يرجع إلى مخالطة شوقى لزعماء الوطنية المصرية وصلاته القوية بهم ، وحرصه على توثيق أسباب المودة بينه وبينهم ، وملازمته لمجالسهم بالليل والنهار ، فلا عجب إن شاركهم بعد ذلك فى الآراء والأفكار ، وشاطرهم فى الآمال والأوطار . . .

أضف إلى ذلك خدمته الطويلة للخديو السابق عباس الثانى ؛ وقد كان من كراهته للمحتلّ الغاصب ، وحبّه الاستقلال بالسلطة والانفراد بالحكم ، ما هو معروف مشهور

وهذا جواب إجمالىٌّ أرجىءُ تفصيله إلى فصل آخر عند الكلام على شاعرية شوقى ؟

أحمد الزين

٥٠٦٥.

سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

يسكن أعالى النيل ثلاث مجموعات أساسية تتفرع منها عدة مجموعات أخرى فرعية :

١ — المجموعة النيلية ، ويطلق عليهم اسم Nilotes ، وهم خليط من الزنجى والحامى . نشأ هذا الخليط بالقرب من شرق البحيرات الكبرى فى شرق أفريقا ثم تبعت منه شعبتان :

الشعبة الأولى هى جماعة الدنكا وقد اتجهت شمالا ثم تكون منها الدنكا والنوير الحاليتان

والشعبة الثانية اتجهت شمالا أيضا ونتج عنها القبائل التى تتكلم اللهجة الشلك مثل جماعة الشلك واللبو والانواك

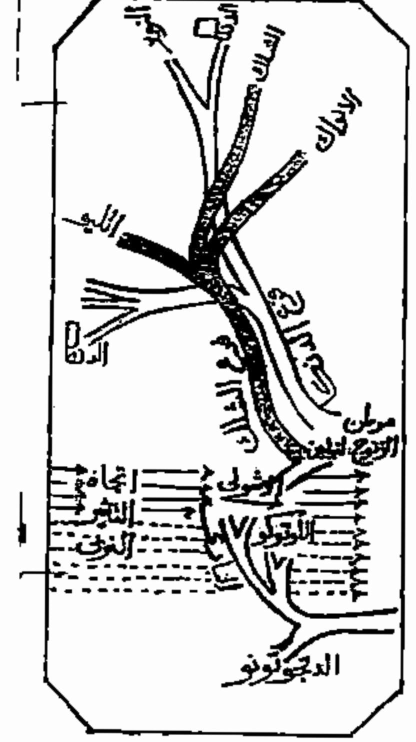
وهذه المجموعة تشغل أقاليم بحر الغزال وبحر الجبل وبحر الزراف والسوباط وجزءا من النيل الأبيض . أما مميزات هذه المجموعات الجنسية فهى قامة بائنة الطول ، ورأس مستطيل ، وبشرة سوداء جدا ، وشعر مجعد ؛ فهم يختلفون عن الزنجى البحت وكذلك عن الحامى البحت

أما جماعة الأشولى الذين يتكلمون لهجة الشلك فرؤوسهم مستديرة ، وذلك يرجع الى تأثرهم جنسياً وثقافة بعنصر مستدير الرأس جاء من الغرب الى الشرق والتقى بهم أثناء هجرتهم من موطنهم الأصلى

٢ — المجموعة الحامية النيلية Nilo hamites مثل البارى واللاوتوكو وغيرهم ، وهم يشبهون النصف حاميين hall hamites الذين يوجدون فى شرق أفريقا وفى شرق أفريقا الوسطى ، ويكثر وجودهم فى مستعمرة كينيا واوغندا حتى حدود السودان وشمال تنجانيقا . وهم أيضا خليط من الحامى والزنجى ، غير أنه يظهر تغلب الجنس الحامى فى تكوينهم خصوصا من حيث التقاطيع مثل الأنف ولو أن البشرة سوداء اللون . ولقد تأثروا أيضاً بالمجرات المستديرة الرأس الآتية من الغرب الى الشرق ، ولكن هذا التأثير كان ثقافيا لا جنسياً

٣ — مجموعة زنجية مستديرة الرأس لونهم أخف من لون النيليين وقامتهم أقصر . كانت أما كنهم بحيرة تشاد ، ثم هاجروا جنوبا إلى افريقا الاستوائية الفرنسية ، ثم شمالا إلى خط تقسيم المياه بين الكنغو والنيل . وأهم هذه المجموعة الازندى ، ويسكنون فى أعالى بحر الغزال الآن

وبعض العلماء يظن أن لونهم الفاتح يرجع الى اختلاطهم بجماعة البربر أو بعض الحاميين



خريطة تبين سير المجرات
(للأستاذ سليمان)

ولقد اشتهر سكان هذه الجهات ومعظم سكان أفريقا — سواء الزنجى البحت أو الخليط — بحب اللهو والطرب والرقص وكثرة شرب الخمور . ولقد تبارى العلماء فى تعليل هذه الظاهرة التى تكاد تعم معظم بقاع افريقا

فابن خلدون يرجع ذلك إلى عوامل مناخية إذ يقول :

« من خلق السود على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق فى كل قطر ؛ والسبب الصحيح فى ذلك أنه تقرر فى موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيه ، وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه . وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة لمزاجه فى كيته ، ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور مالا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب من الحرارة الغريزية التى تبعثها قوة الخمر فى الروح من مزاجه فيتفشى الروح ويجيء طبيعة الفرح . وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا فى هوائها واتصلت حرارة الهواء فى أرواحهم فتسخنت ، لذلك حدث لهم فرح ، وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشيء عن السرور .. ولما كان السودان

سا كنين فى الاقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفى أصل تكوينهم كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم ، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الاقليم الرابع (المعتدل) أشد حرا، فتكون أكثر تفشيا ، فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطاً ، ويجىء الطيش على أثر هذه . وتتبع ذلك فى الأقاليم والبلدان تجد فى الأخلاق أثرا من كيفيات الهواء والله الخلاق العليم . »

ولقد حاول كثير من العرب تعليل حب هؤلاء الأقوام للخمر واللهو والرقص ، ومن هؤلاء المسعودى الذى ينسب ذلك إلى ضعف عقليتهم ، كذلك يعقوب بن اسحاق الكندى ذكر ذلك التعليل الذى ربما يكون المسعودى قد نقله عنه

كذلك ذكر هذا الرأى جالينوس كما يقول ذلك ابن خلدون

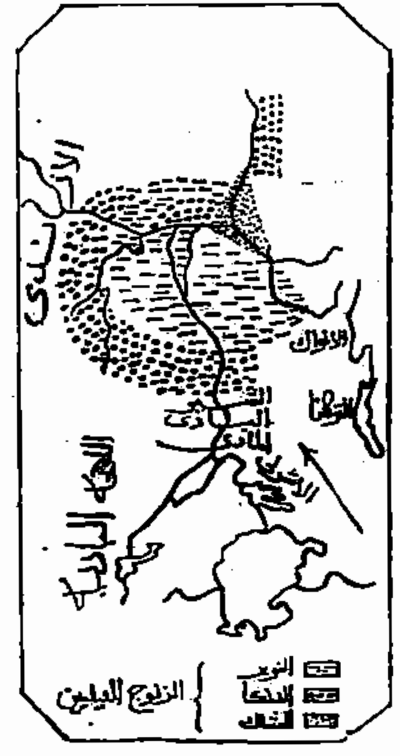
وربما كان ذلك راجعا إلى قلة العمل وطول الوقت ، ولذلك يلهو الزنجى بمثل هذا النوع من الطرب . وربما يرجع حب الزنجى للرقص والخمر الى التغلب على مناخ بلاده الذى يدعو إلى الكسل والخمول . كما يستعمل الأوروبى مثلا المسكرات للتغلب على البرد فى بلاده . ويقول نعوم بك شقير فى كتابه تاريخ السودان : « وهم مولعون بالرقص ولعاً شديدا ، ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة يرقصها الرجال والنساء على أصوات الآلات الموسيقية . وقد رأيت جماعة من رجال الشلك يرقصون رقصة حربية فى الخرطوم أيام تشريف الخديو للخرطوم ، وقد لبسوا شعورهم على أشكال غريبة وزينوها بالريش والخرز وصبغوا جفونهم بصباغ أبيض مشرب حمرة ، ولبسوا أساور العاج والنحاس فى أيديهم ، والجلود أو الخرق فى أصلابهم ، وحملوا الحراب والنبابيت فمثلوا فى رقصهم واقعة حربية وقفوا فيها صفين يهاجم أحدهما الآخر ، وهم يقفزون كالقردة ويصيحون كالذئاب ، وهم يهزون رماحهم وعصيهم فوق رؤوسهم ، ويغنون أغانى لا تلحين فيها ، ويصوتون بالقرون أصواتاً مزعجة تصم الآذان ؛ وبالاجمال لم يكن فى رقصهم طرب بل دل على الهمجية والخشونة »

وقد اشتهر الزنجى بجودة الرقص خصوصاً فى عهد قدماء المصريين إذ استخدموا الأقزام لرقص الآلهة . وكثيراً ما نرى الآن فى موسيقى الجاز الأوروبية الراقصة أن يُستخدم الزنجى المرتزق . كما اشتهر بعض الزنوج نساء ورجالاً بالرقص الأوروبى

الزنوج النيليون Nilotes

النوير

لم يتأثروا بالحكم الأوربى لأن أماكن سكناهم تجعلهم فى عزلة إذ يتعذر اجتياز بلادهم فى فصل الأمطار لكثرة المستنقعات كذلك فى فصل الجفاف . لذلك لم يحاول جيرانهم الاعتداء عليهم ، كما أن العرب الذين عرفوا هذه الجهات قديما اكتفوا بانشاء محطات تجارية على المجارى الرئيسية . ولم تهتم بهم الحكومات الأوربية إلا منذ أربع سنوات عندما قاموا ببعض الاضطرابات . وكان لهذه العزلة الأثر الأكبر فى عدم قبولهم الاختراعات الحديثة ، وعدم تغييرهم لنظامهم الاجتماعى ، كذلك لم يتأثروا بالمسيحية ولا بالاسلام ؛ وتجد الحكومة صعوبة فى جباية الضرائب منهم أو ارغامهم على العمل



خريطة توزيع القبائل
(عمل الأستاذ رتشارد)

وتنقسم السنة عندهم إلى قسمين تبعاً لتغير الانتاج الزراعى الذى يتوقف على هطول الأمطار . فمن ابتداء شهر مايو تهطل الأمطار وتستمر كذلك حتى أواخر نوفمبر ، فتمتلئ الأنهار وتكثر الأخوار . ولما لم يكن هناك تصريف على السطح فان هذه المياه تتجمع على شكل مستنقعات تقوم فى وسطها عدة قرى فى الأراضى المرتفعة . وفى هذا الفصل تكون الماشية على مقربة من هذه القرى لكى يمكن ايواؤها مساء فى الأماكن المخصصة لها لحمايتها من شر البعوض . كذلك يتمكن النوير فى هذا الفصل من زراعة بعض الذرة . وفى شهر ديسمبر تبدأ الأمطار فى القلة ، ولذلك تساق الماشية الى

أماكن بعيدة عن القرى فى الجهات النائية حيث ترعى هناك ، وبعد أن يجمع المحصول فى القرى ترجع الماشية الى القرى لتأكل بقايا النباتات ؛ ثم بعد ذلك يحل فصل الجفاف

وأهم شيء فى حياة النوير خاصة ، والزنوج النيليين عامة هو الماشية ، فمنها يأخذون اللحم واللبن ، وجلودها تستعمل فراشاً ، وروثها يستعمل وقوداً ، والرماد المتخلف يتخذ لدلك الجسم لحمايته من البعوض ، ويصنع منه مسحوق للاسنان والشعر ، وقرونها تستعمل ملاعق ، وذيلها للزينة . والرجل الغنى عندهم هو الذى يملك ماشية ، فهى تقوم مقام الصداق فى حفلات الزواج ، ولذلك كان النورى شديد الاهتمام بتنمية القطيع من الماشية ، لأنه مهم من حيث الزواج . والرجل عند ما يريد الزواج لا بد أن يوزع عشرين رأساً من الماشية على أهل زوجته ولابد من إهداء عشرة رؤوس لأقارب والد عروسه ، وعشرة أخرى لأقارب والدة عروسه ، فمن اللازم أن يأخذ القطيع فى الزيادة حتى يصل الى خمسين رأساً من الماشية . فاذا تزوج ابن فلابد أن يظل بقية الأبناء بدون زواج حتى يأخذ القطيع فى الزيادة إلى أن يستعيد عدده قبل الزواج . فالزواج حسب الترتيب : الأكبر فالذى يليه وهكذا . وعلى نساء الأبناء الكبار أن يقمن بطهى الطعام وحلب الماشية للاخوة الذين لم يتزوجوا بعد ؛ كذلك تستعمل الماشية فى دفع الديات والتعويضات . والنورى يعتبر القتل كالزواج ، أى أن الرجل اذا قتل شخصاً من عائلة أخرى كان كأنه تزوج فتاة من هذه العائلة ؛ وذلك على قاعدة أن هذه العائلة ستفقد فردا منها فى حالة الزواج أو فى حالة القتل . فعلى القاتل أن يعطى عائلة المقتول عشرين رأسا من الماشية : عشرة منها توزع على أقارب والد القتيل ، وعشرة أخرى توزع على أقارب والدة القتيل . والفكرة فى ذلك أن عائلة القتيل تحتفظ بهذه الماشية التى أخذتها دية لكى يمكنها أن تحصل بواسطتها على زوجة للرجل الميت لكى تلد هذه الزوجة ابناً يحل محل أبيه . وهذه الزوجة بعد الحصول عليها تعيش مع زوجة الرجل المقتول ، والابن الذى يولد لها يعتبر كأنه للرجل المقتول .

يتبع رشوان أحمد صادق

اندفاعات

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

يعيش القريعُ الحرُّ فى البلد الحرّ فبالخير يجزى الخيرَ والشرَّ بالشرّ
ويزرى بعادات يراها مضرّة وأمّا بما فيه انتفاعٌ فلا يزرى
وأكثِرْ بمغترّ بما كان ظاهراً وأقلِلْ بمن قد كان ليس بمغتر
بمجتمعٍ حرّيةُ الفكر عنده وما عنده حُرّيةُ القول والجهر
ولم يك أسراً منع حُرّية الورى ولكنه شرٌّ عليهم من الأسر
وما خيرُ أرضٍ هان فيها ذوو الحجا وذو الأفْنِ موصول الكرامة والقدر
تحمّلتُ أعباء الحياة ثقيلة فكانت كأخت الموت قاصمة الظهر
يعاذوننى من أجل تركى لمدحهم ومَن كان حُراً عاش للأدب الحُر
ومالى وثوق فى العراق بصاحب مع المدّ يأتينى ويمضى مع الجزْر
لقد نسبوا لى الوزرَ فيما أقوله وهل مُثقِلٌ غيرى إذا صدقوا وزرى
وللكفر والإيمان تجمع لحمةٌ وقد شرب الايمان من منبع الكفر
ولو كنتُ أدرى ما ألاق من الأذى أخذت من الأيام قبل الأذى حِذرى
أعاتب أيامى على ما أصابنى وما فى يد الأيام شىءٌ من الأمر
ولستُ إذا لاقيتُ مكراً بناكص ولكننى أستقبل المكرَ بالمكر
إذا رمتَ أن تلقى من الناس حرمةً فكن سيداً للخير أو سيد الشر
وإن الفتى الخوّار فى حومة الوغى إذا لمعت بالسيف مات من الذعر
وليس يردّ العسكرَ المجرَ غازياً لمملكة مُثلى سوى العسكر المجر
وما أنس لا أنس الشبابَ فانه على ما به من خفة غرّةُ العمر
صبوتُ إلى غُرّ الوجوه مُتيماً ومَن كان لا يصبو إلى الأوجه الغُرّ؟
وإنى ليعرونى اضطرابٌ لذكرهم كما اضطرب العصفور فى مخلب الصقر
وإنى كسارٍ ضلّ ليلاً طريقَه بمنأبة خرقاء أو مهمهٍ قفر
ذكرتُ شباباً كان لى فى زمانه سوابق آثام فأخجلنى ذكرى
أثمتُ وبالطيش اعتذرتُ مُبرّراً وأكبرُ من إثمى الذى جئتُه عذرى
ألامُ على حبى لدنياىَ هذه وما حيلتى إن كان قلبى بها يغرى
صحوتُ غداةَ الشيب من سكرة الصبا ويارُبَّ صحوٍ كان شراً من السكر
وكان نصيبى فى الشباب ابتسامةً تلوح على عين الحبيبة والثغر
قد ازدان بالألماس والزهر فرعُها كما ازدان ليل الصيف بالأنجم الزُهر
ولما تفارقنا شجانى بكاؤها وما نثرت تلك المدامعُ من دُرّ
أذال هوانا الدمعَ والعقل صانه فوفّقهُ بين المذلة والكبر
وماذا لليلى جدّ حتى تغيرت فانى وليلى كنت كالماء والخمر
تعيرنى بالشيب وهو مصيرُها كأنى وإياها إلى غاية نجرى
أبا لقلب منى تهزئين إذا صحا ولكنّ هذا القلب ينبض بالشعر
منحتك حبى خالصاً فهجرتنى وأسرفتِ يا ليلى الجميلة فى الهجر

* * *

والبلبل الصيداح فى كل روضة عرائسُ يبثثن الغرامَ من الزهر
ويبسمن للصيداح من فرح به ويرميننى للشيب بالنظر الشزر
والزهر مثل الغانيات لواحظٌ وفى تلكم الألحاظ شىء من السحر
عيون رمتنى بالسهام مريشةً بأهدابها من حيث أدرى ولا أدرى

* * *

سأهبط قبراً بعد حُمّى تميتنى سلامٌ على الحُمّى، سلامٌ على القبر
وإنى لأخشى دفنهم لى بحفرة فيُلفين للنسيان فيها معى فكرى
تموت اعتبارات الفتى عند موته فلا حسنَ فى عُرف ولا قبحَ فى نكر
وأطولْ بليل القبر والقبرُ ضيّقٌ ونومىَ فى جوف التراب مدى الدهر
وددتُ لوانى قد يقظتُ من الكرى على صيحة الصيداح فى مطلع الفجر

طريقُ حياتى لم يكن متساوياً فوعرٌ إلى سهل وسهلٌ إلى وعر
أرى المرء مضطراً لما هو فاعل وإن خال جهلاً أنه غير مضطرّ
ولستُ أخاف الشكّ فى كل ماروَوا
ولكنّ بعض الشكّ يأكل من حِجرى
لمن تكتب الأرواحُ فى اليمّ ما لكاً
فانى أرى الأمواجَ سطراً إلى سطر
مكانَك لاتطلب من الدهر مخرجاً فانك أنى سرت فى قبضة الدهر
وليس أنيناً ماله أنت سامعٌ ولكنه شكوى الغريق إلى البحر
لقد جرّد اللوحَ الخريفُ وليته لأطياره أبقى على الورق النضر
فروضٌ ولكن لا رُواء لزهره فهل فيه لاقى الزهرُ شحّاً من القطر
إذا لم تكن تشكو الأزاهيرُ كربةً فما بالها ليست بباسمة الثغر

بحر الحسد

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة:

الحياة هى بحر الحسد ، ويسعى الناس فى الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر كأنما يسبحون فى بحر من الحسد ، وقديدفع بعضهم بعضاً كى يظهر الدافع على متون أمواجه ، وقد يعين بعضهم بعضاً فى الأحايين . أما المجاملة فى الحياة والتحيات فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء ، يخفى بجماله ما فى البحر من قبح وبلاء (الناظم)

يسبح الأحياء فى بحر الحسد فاعتصم بالصبر فيه والجلَدْ
واقتعد صهوته مستبشراً سابحاً فى الموج منه والزَّبد
ضاحكاً من عنت الأمواج لا يُدفَعُ الغائلُ منها بالكمد
أنظر الأمواج فى الشط تجِدْ لجّها منهزم الأمر بدد
إنْ علت موجة حقد فاصطبر أى موج فى ذرى اليمّ خلد
وإذا ما رمّة لاحت فلا تحسب الرمة فيه كالسند
وإذا لألأت الشمس على الـ يمّ أخفت قبح ما دون الزبد
كتِقال الحب يخفى كيدهُ إنْ سطا فى العيش فى لؤم وحِقد

وإذا غار بك الماء فقل كم حسام فى قراب قد غُمِد
رب دُرٍّ فيـــــه لا تأمله إن من غاص على الدر وجد
درة مخبوءة أنت إذا ما طفا باللؤم إن أُغرِقتَ وغد
أمجد السابح إن خار وكن للذى أشفى على الهُلْكِ عضُد
ليس مجد الغدر أحجى بالفتى أى مجد ناله الأوغاد مجد
أحمق الناس جهول خائف كلما لاح له برق ورعد
ليس فى العيش ولا الموت أذى إنَّ من سار على الدرب وِرِد
لا يلذ الموتَ إلا مُتعَبٌ سهر العيش وفى الموت رقد
رقدةٌ يا طيبها من رقدة بعد أن عانى وأبلى وسهد

الشادوف[1]

بقلم محمود حسن اسماعيل

دَعْ نايَكَ الشّادى بلا تعزيفِ طرِبَ الخيالُ لأنّة الشادوفِ
عُرْيانُ جرَّدَهُ الضحى مِن سِترِهِ فغدا يضجُّ بدمعِهِ المذروف
لم يُرْضِهِ ثوبُ السّنا سِدْلاً له يختالُ فى بَهَجٍ ولَمْحِ شُفوف
فبكى ونكّس رأسه متذلّلاً متحسِّراً كالعاشق الملهوف
فاذا تقاعس خِلتَهُ فى صمتِهِ جُثمانَ مصلوبٍ بغير كفوف
بَرَتْ سواعدَه الليالى ، وانبرت
تُبْليه فى سخطٍ وفى تعنيف
وإذا جثا ألفيتَهُ متعبّداً طهُرتْ سرائرُهُ من التزييف
سجَداتُهُ فى النبع قُبْلَةُ والِهٍ طبعَتْ على سَلْساله الرشوف
صدْيانُ قدّم لورود شرابَهُ وأعارَ أدمعَهُ لقلب الريف
فيظلُّ يَظمأ عارياً ، والزهرُ فى رِىٍّ ، ونبتُ الحقل فى تفويف
ثاوٍ على الجُبِّ العميق كأنّهُ أعمى على جُرُفٍ هنالكَ موفٍ
جبّارُ أفزعه الردى فتقلّصتْ أضلاعُهُ من صرْعةِ التخويف
فتخاله فى الوهم جُثّةَ ماردٍ ضجِرتْ لهَوْلٍ فى القبور مخيف
فأعارتْ الأكفانَ ثورةَ حانقٍ بَرِمتْ بِعَسْفٍ فالتقتْ بحتوف

* * *

(١) آلة قديمة للرى فى مصر

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٢٥ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

— ٥ —

يرى نيتشه شريعة العبيد ومثل الزهد وسلطة الكاهن تقوم أركانها على جملة أكاذيب فارغة ؛ وهو لا ينظر إلى الشريعة المسيحية نظرة الرافض لها ، وإنما يجد فيها خطراً كبيراً وتدميرا . إن قطيع المنحطين وتائدم كاهنهم الزاهد تراهم وقد قضى عليهم بأن يغمضوا أعينهم عن بيان أصول الأشياء ، لكي يضعوا – موضع الامتحان والحقيقة التجريبية – شريعتهم وقيمهم الوهمية الضالة التي عالجوا بها حل أسرار الوجود . لو أدرك المريض حقيقة أمره ، وعرف مكان عافيته ، وموطن شفائه ، وعلم أن علاج الكاهن لا ينزع من ألمه الحقيق شيئاً ، وإنما هو علاج ظاهر يعمل على تشديد الألم بدلا من أن يعمل على تخفيفه وشفاء صاحبه ؛ لو علم ذلك كله لرأيت العمارة المسيحية قد انهارت دعائمها واندكت صروحها . إن المنحط الضعيف يتحرى عن مخفف حقيق لآلامه عند الطبيب أو عند الموت . وقد أحس الكاهن هذا الخطر فأخذ يحدث قرناءه دائماً عن الايمان ، وهو الاقتناع المبني على غير العقل ، عن الايمان الذي لا يحفل بحقية الأشياء ، وهل الايمان بحقيقته إلا أن تفرض وهما تشعر بضرورة وجوده في الحياة ، تفرض وجوده بأي ثمن كان

في كل عصر يرى الكاهن في الحكمة الدنيوية والعلم الواقعي الذي يدرس الوجود للعلم ، غير حافل بقواعد الدين ، يرى الكاهن فيهما خصمين عنيفين ، وهو يحلل كل وسيلة تصرف الانسان عن التأمل في الأشياء بعين نفسه ، وعن جلاء الحقيقة عارية مجردة من غير تشويه . وهذا ما لا يتساهل فيه نيتشه ، ولقد يغفر للمسيحية ما تبث في الانسانية من آلام ، وما عسى يضر الألم الانسان إذا كان الألم يصفيه ؟ وفي الحقيقة نرى الايمان الديني قد خلق أرواحاً كثيرة أفادت البشر ؛ ولم يكلف نيتشه نفسه بيان الآلاء التي قامت بفضل ثورة العبيد فأغنت النوع الانساني وظلت من الانقلابات المعتبرة في التاريخ . ونيتشه يعجب بالمنطق العظيم في المنطق الديني الكاذب ، وبالمذهب الذي ابتدعه وظل يغذي الناس طيلة عشرين قرناً بالأوهام الخيالية ، وقد يعجب بالكاهن برغم أنه ينطوي على ارادة شريرة ، لأن ارادته تستمد شعورها من نفسها ، لا تحوك الأوهام حول الهدف الذي تقصده ولا حول الوسائل التي تصطنعها . وأما ما يستفز غضب نيتشه من العالم المسيحي فهو ذلك المحيط القدسي الذي يحيط به ، وذلك المزيج من المكر والغباوة والطهارة الكاذبة التي يتظاهر بها رجال الايمان . فاستفاق في نيتشه شعوره الوحشي وحبه للطهارتين المادية والروحية ، وجرأته في الذهاب وراء أقصى ما أشرف عليه عقله ، فثار وتمرد على هذا التدليس كله ، ثم انصرف عن هذه الجماعة وفي قلبه سأم من رجالها الذين غدا الوهم عندهم جزءا من الأجزاء التي لا يتم بدونها الوجود ؛ وهم لا يعرفون أنفسهم حين يخدعون ويخادعون وحين يكونون صادقين ، يعيشون أسرى أوهامهم حين يريدون أو لا يريدون ؛ وأعلن بأن المسيحية هي المسئولة عن تسميمها للبيئة العقلية والأدبية في أوربا

على أن جهود الكنيسة كلها في مناضلة العلم ذهبت عبثاً ، ومقاومتها للعقل البشري انطلقت أدراج الرياح ؛ كان في أوربا كثيرون من علماء الطبيعة – على اختلاف مناهجهم ومدارسهم – يعيشون في غير أكناف الدين والايمان ؛ هؤلاء هم أعداء الكاهن . ولكن سائلا يسأل : وما بال عقول هؤلاء لم تضع سداً يمنع تأثير الوهم المسيحي ؟ وكيف لم يفلح أصدقاء الطبيعة والحياة والعافية في تحطيم القيم المسيحية ؟

كان جواب نيتشه على هذا السؤال جواباً أدبياً ، يقول : إن هؤلاء العلماء لا يؤمنون بعلمهم ، ومعنى ذلك أنهم لا ينصرفون

يا صامتاً والريحُ تخفقُ حَوْلَه والنبتُ يطربهُ بسجعِ حَفيف
وتصايحُ الغِرْبان يُنذِرُ مَرْجَه بحَصيدِ ساقيةٍ، وجَدْبِ خَريف
ورَبابةُ الرّاعي تُهَدْهِدُ عِنْدَه قلباً يَهيم بلحنِها المَعْزوف
سَكْرى من الأنْغام أسكَرَ شَدْوُها
آذانَ ناغيةٍ وسمعَ خَروف !
هلاّ شَجَتْكَ نُغاثةٌ من بائسٍ لهفانَ في كَنَفِ الأسى مَلْفوف
روّى الزُّروعَ بصيّبٍ من دَمْعِه وثوى بقلبٍ في الظلام لَهيف !

محمود حسن اسماعيل

إلى تبديل المثل الأعلى الديني بمثل أعلى من عندهم ؛ أو أنهم يؤمنون بملهم ويأتون بمحل جديد للحياة يستمدون مادته من المثل الأعلى المشيد على الزهد ؛ أو أن رجال العلم هم رجال متوسطو الادراك ، عاجزون عن إبداع شريعة جديدة ؛ أو أنهم قوم زاهدون محتالون طالمون ؛ لا يختلف جوهر مثلهم الأعلى عن مثل الكهان

يشبه نيتشه هذا العالم « المتوسط » بامرأة عجوز لا تلد ولا تنجب . وهو قليل القناعة بنصيبه

والآن فلننظر في تعريف رجل العلم !

إن رجل العلم يتصل نسبه بذرية بشرية غير شريفة . تنطوى نفسه على خلال ذرية غير شريفة ، ذرية لا تأمر ولا تملك سلطة ، ولا تنفي شيئاً . إنه عامل دائب يدرك بشعوره حاجات قرنائه . إنه وارث أمراض ذرية غير نبيلة ، ملك عليه الزهو ومشى لا يتحرى إلا عن الأشياء السفلية في الطبائع . أما العظمة فهي بعيدة المنال عنه . وإن مما يجعل العالم جليل الخطر شعوره الباطن بأنه من ذرية متوسطة ، فهو والحالة هذه يدأب عاملاً على إبادة الرجل « الشاذ »

ولا ريب أن العالم يحيا بعيداً عن كل إيمان ؛ ألا ترى فطرته في كثير من المواطن توائم فطرة رجل الدين ، ثم يخالفه ويفر من ملامسته وملامسة أمثاله ، لأنه يعتقد كل الاعتقاد بأن رجل الايمان هو نموذج سفلى في البشرية ، وأن رجل العلم هو أسمى منه . على أن هنالك هوة سحيقة تفصل بين رجل الدين ورجل الارادة الكبيرة المريضة ، القاتل الظافر بفضل هذه الارادة ، والخالق قيماً يعتقد بصحتها ، وبين هذا الرجل العالم الجرىء ، هذا القصير المعجب بنفسه الذى فقد إيمانه بنفسه وعلمه . يعمل كما تعمل الآلة ليزداد غواية وضلالاً ، ولينتشى من التفكير ، وليتريح من سبيله هذه المسائل المقلقة ؛ قد يكون عمله حسناً لو كان يعمل مستوحياً نفسه ، لكنه يعمل ليكون مأموراً عاجزاً عن إبداع قيمة جديدة عاجزاً عن أن يتذرع بإرادة

لنحكم أن العالم « غير الذاتى » الذى نضجت فيه الحاسة العلمية قد ساد أمره فماذا ينتج منه ؟ لا شيء إلا مرآة . . . وآلة لا إرادة لها . . . إنه يشبه المرآة التى تعكس الأشياء ، ترتقب حتى تظهر عليها فتعكس مرآها ، وإنما غناه في أن يكون معبراً تمر به الأشياء . لا يحس ولا يلمس آلامه الشخصية . يعمل ما يستطيع ، ويعطى ما يستطيع ، ولكن ما يعطيه حقير لا قيمة له . هو لا يأمر ولا يخرب شيئاً ، يقول مع (ليبنز) : « أنا لا أحتقر شيئاً » . إنه آلة تتجلى فيها العبودية والخضوع والطاعة . مفتقر إلى معلم يهديه إلى الغاية المقصودة . وهو ليس بعلامة حركة جديدة ، ولا بعلة أولى . إنه وا أسفاه ليس بعلم . إنه وعاء فارغ يتخذ لون السائل المراق فيه ، إنه فاقد الشخصية

ثم هاجم نيتشه الشكوكيين الذين يصل بهم علمهم إلى حيرة يتساوى فيها السعود والهبوط ، والعلم والجهل ، وإنما يتميزون من رجال العلم بأن هؤلاء عاملون دائبون كالآلات ؛ أما الشكوكيون فهم عقول أضعفها ترنحها الزائد في العلوم ، وهم ليسوا بشيعة واحدة ، فمنهم المضطرب والمتعلل المزهو بنفسه ، ومنهم النفس التى تبذل الجهد في كشف أسرار الوجود وقد دوختها أسراره حتى غدت تروح وتغدو كالخيال الدقيق ليس له من قرار

ألا ترى إلى زرادشت — نبي نيتشه — البشر بالسوبرمان قد سحب وراءه خيالا من هذه الأخيلة الضالة ، رافقته في كل مراحله ، قد طلقت كل إيمان كان نيه عزاء ، وحطمت كل الأوثان ، وتقدت إيمانها بالأسماء الكبيرة والرموز الفخمة حتى أضاعت غايتها في النهاية ، وضلت في زوايا الوجود الموحش هائمة بدون حب ولا رجاء ولا وطن . رآها زرادشت فلم يتمالك نفسه من الاشفاق عليها

ـ قال بكآبة : أنت ظلى !

إن الخطر الذى تفر منه ليس بحقير أيها المسافر !

إن أملك نهاراً سيئاً فاحترس من أن يكون مساؤك أسوأ .

إن السجن لأمثالك الطائشين قد يصبح نعمة لهم

أرأيت هؤلاء العاتين المفسدين ، يجرجرون في قيودهم !

هؤلاء ينامون نوماً هادئاً لأنهم مرتاحون بطمأنينتهم

احترس في النهاية أن تغدو سجين إيمان ضيق ووهم قاس مرعب . على أن كل ما هو ضيق قاس هولك فيه إهواء وخديعة

إنك أضعت الغاية ، وكذلك أضعت سبيلك

يا لك من نفس ضالة طائشة ! يا لك من فراشة منهوكة القوى »

ولكن رجال العلم ليسوا جميعاً على هذا النحو الذى صوره نيتشه ، فهنالك رجال يقين من رجال العلم ، علم هؤلاء لا يقف عند قولهم : ماذا ندرى ؟ هو علم وثاب يخلق إرادة ويبدع شريعة ومذهباً

(يتبع) خليل هنداوى

القصص

في ذكرى بدر :

أبو جهـــــل ....

لم أكتب رواية ، ولكني عرضت
مناظر من بدر .....

« علي »

للأستاذ علي الطنطاوي

(المنظر الأول)

« في بيت عاتكة بنت عبد المطلب »

عاتكة — يا أخي ! والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثت ، فإنهم إن سمعوها آذونا ، وأسمعونا ما لا نحب

العباس — حدثيني ، فسأكتم الحديث

عاتكة — رأيت راكباً قد أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا فانفروا يالَغُدُر إلى مصارعكم في ثلاث ؛ فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينا هم حوله مثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ؛ ثم مثل به على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ؛ ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقيت دار من دور مكة إلا دخلها منها فلقة ....

العباس — إن هذه رؤيا حق ، فاكتميها ولا تذكريها لأحد

(المنظر الثاني)

« في الحرم ، وقد غابت الشمس ، وجلست قريش في مجالسها من حول الكعبة » .

« أبو جهل في رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة »

أبو جهل — يا أبا الفضل ! إذا فرغت من طوافك فأقبل علينا ....

« يقبل العباس »

أبو جهل — يا بني عبد المطلب ! متى حدثت فيكم هذه النبيّة ؟

العباس (متجاهلا) — وما ذاك ؟

أبو جهل — الرؤيا التي رأت عاتكة !

العباس — وما رأت ؟

أبو جهل — كأنك لا تدري ؟ ... ألم تحدث بذلك الوليد بن عتبة ؟ أما رضيتم يا بني عبد المطلب بكذب الرجال ، حتى جئتمونا بكذب النساء ؟ زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ؛ فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب

العباس (وقد غضب) — هل أنت منته يا مصفّراً ....؟ فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك

« يهم به فيحول القرشيون بينهما »

القرشيون — ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقاً

(المنظر الثالث)

« في بطن الوادي ، صباحا ... »

العباس (لرجل معه) — لقد لقيت أمس من عاتكة أذىً شديداً لما أفشيت من حديثها ، ولم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني تقول : أقررتم ... أقررتم لهذا الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت .. ..

فو الله لأتعرضنّ له ، وإن عاد قاتلته ، فلقد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه

الرجل — انظر يا أبا الفضل ! هذا أبو جهل خارجاً من باب المسجد يشتدّ

العباس — ماله لعنه الله ، أكل هذا فرقاً مني ؟ إذهب فانظر ما شأنه ؟

« يذهب الرجل ويرجع على عجل »

الرجل (مضطرباً) — ألا تسمع ؟

العباس — ماذا ؟

الرجل — هذا ضمضم بن عمرو الغفارى . يصرخ ببطن الوادى وقد شق قميصه ، وحوّل رحله ، وجدع بعيره ! اسمع

« يتقدمان ويصغيان »

ضمضم — يامعشر قريش ! اللطيمة ... اللطيمة ... أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... لا أرى أن تدركوها ... الغوث ... الغوث ... !

« حركة واضطراب ولغط وصيحات حماسية »

رجل — هذه والله رؤيا عاتكة !

آخر — والله إن أخذ محمد العير لا تفلح قريش أبداً

آخر — انفروا إلى مصارعكم فى ثلاث . إن رؤيا عاتكة كأنها أخذ باليد

أبو جهل — هه ! أيظنّ محمد أنها كعير ابن الحضرمى ؟.. والله ليعلمنّ غير ذلك ... إنها قريش !

سهيل بن عمر — يا آل غالب ! أتاركون أنتم محمداً والصُّباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم ؟ — من أراد مالا فهذا مالى ؛ ومن أراد قوتاً فهذا قوتى ...

« يفترق الناس ، يستعدون للخروج »

(المنظر الرابع)

« فى الحرم ، وقت الظهيرة »
أمية بن خلف وسعد بن معاذ سيد الأوس
وهو ضيفه وخليله »

أمية — تعال فطف بالبيت ، فانه وقت الظهيرة ولا يراك أحد

« يطوف سعد بالبيت ويجلس أمية »

أبو جهل (قادماً) — من هذا الذى يطوف بالبيت ؟

سعد — أنا . سعد بن معاذ !

أبو جهل — ماذا ؟ أتطوف بالبيت آمناً ، وقد آويتم محمداً وأصحابه ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ؟ ! أما والله لولا أنك مع أبى صفوان مارجعت إلى أهلك سالماً

سعد — أما والله لئن منعتنى هـذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة

أمية (لسعد) — لا ترفع صوتك على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى

سعد (لأمية) — إليك عني ، فانى سمعت محمداً يقول إنه قاتلك

أمية — إياى ؟ سعد — نعم !

أمية — بمكة ؟ سعد — لا أدرى !

أمية — والله ما كذب محمد

« يسقط أمية على الثرى »

إذن والله لا أخرج من مكة ، إذن والله لا أخرج من مكة

المنظر الخامس

« فى الحرم . مساء . قريش فى مجالسها ،
عقبة بن أبى معيط قدم على مجلس أمية معه
مجمرة فيها بخور . أبو جهل على أثره »

أمية — ويلك لمن هذا ؟

عقبة — لك يا أبا على . تم استجمر فانما أنت من النساء

أمية — قبحك الله وقبح ما جئت به

« يصل أبو جهل »

أبو جهل — يا أبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلفت ، وأنت من أشراف قريش ، تخلفوا معك ، فسر يوماً أو يومين

أمية — افعل !

« يمشى عقبة وأبو جهل إلى مجلس عتبة وشيبة
ابنى ربيعة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام

أبو جهل — أنتم سادة قريش ، وأنتم قادة الناس ، فمالكم لا تتجهزون ؟

عتبة — لقد استقسمنا بالأزلام فخرج الناهى

عقبة — كلا . ولكنه الفزع من اللقاء

عتبة — ألمثلى يقال هذا ؟ والله لولا أنك فى بيت الله ....

أبو جهل — دعه يا أبا الوليد ، فانك اليوم شيخ قريش ، فاذا لم تخرج أقام الناس

عتبة — سأخرج

(المنظر السادس)

« يقبلون من مكة ، وهم ألف رجل فيهم
شيوخ قريش وأشرافها . قد خرجوا على
الصعب والذلول ، ومعهم القينات يضربن
بالدفوف ويتغنين بهجاء المسلمين ، وقد ارتج
بهم الوادى »

(المنظر السابع)

« ماء فى البادية ، عليـه خباء رجل ،
وعليه جاريتان تختصمان ، يقف عليه رجلان
من المسلمين فيسقيان »

الجارية — لا أدعك حتى تقضينى الذى لى

الأخرى — دعينى ، فستأتى العير غـداً أو الذى بعده ، فاعمل لهم ، فأقضيك

الرجل — لقد صدقت ، فستأتى العير غداً أو بعد غد

« يسمع الرجلان فيجلسان على بعيريهما ليلحقا بالمسلمين »

« أبو سفيان يأتى بعد قليل ، يتقدم العير وحده »

أبو سفيان — هل أحسست أحداً أيها الرجل ؟

الرجل — ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أن راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شنّ لهما ، وانطلقا

أبو سفيان — أرنى مبرك ناقتيهما

الرجل — هو ذاك ...

« يأتى أبو سفيان المبرك ، فيأخذ من أبعارها فى يده »

أبو سفيان — هذا هو النوى ، هذه والله علائف يثرب

« ويمضى مسرعاً فينجو بالعير »

(المنظر الثامن)

« فى جيش المسلمين ، فى ذفران ، وقد جاءهم الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن القوم قد خرجوا من مكة ، على كل صعب وذلول ، فما تقولون ؟ ألعير أحب إليكم من النفير ؟

رجل — عليك بالعير ودع العدو

آخر — هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له ! إنا خرجنا للعير

« يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

المقداد بن الأسود — يا رسول الله ! امض لما أمرك الله ، فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . والله الذى بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك حتى تبلغه

« يشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

المسلمون — كلنا ذاك الرجل يا رسول الله ، ولكنا ظننا أن فى العير قوّة للإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ

عمر — يا رسول الله ! إنها قريش وعزّها ، والله ما ذلّت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ؛ والله لتقاتلنّك ؛ فتأهب لذلك أهبته ، واعدد له عدّته

قال رسول الله (ص) : أشيروا علىّ أيها الناس

سعد[1] — لعلك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله

قال رسول الله : أجل

سعد — قد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليك ألا ينصروك إلا فى ديارهم ، وإنى أقول عن الأنصار ، وأجيب عنهم ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت لنا ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك . فامض يا رسول الله لما اردت ونحن معك ، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وإنا لصُبُر فى الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينيك ، فسر بنا على بركة الله

قال صلى الله عليه وسلم :

— سيروا وابشروا ، فان الله وعدنى إحدى الطائفتين ، فو الله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم !

(المنظر التاسع)

ماء فى البادية عليه شيخ من العرب ، يقدم عليه رسول الله وأبو بكر مستخفين قبلاً لأنه من قريش

— ما ذا تعرف عن قريش ؟

الرجل — لا أخبركما حتى تخبرانى من أنتما !

قال رسول الله (ص) : إن أخبرتنا أخبرناك

الرجل — ذاك بذاك ؟

قال الرسول : نعم

الرجل — بلغنى أن محمداً وأصحابه ، خرجوا يوم (كذا) فان كان صدق الذى أخبرنى . فهم اليوم فى مكان (كذا)

أبو بكر (لنفسه) — لقد عرف مكاننا

الرجل (متماً) — وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم (كذا) فان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم فى مكان (كذا) . فمن أنتما ؟

قال النبى (ص) : نحن من ماء !

(١) ابن عبادة كما قيل . وابن معاذ على الأصح ؛ وإذن يكون قد لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان بمكة لما علم بأمر خروجه

أبو بكر (لنفسه) — فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق

الرجل (متعجباً) — من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ أمن ماء الشام ؟

(المنظر العاشر)

« فى بدر على الماء الأدنى من المدينة »

الحُباب — يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أهو منزل أنزلكه الله تعالى ، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

قال : بل هو الرأى والحرب المكيدة ؟

الحباب — يارسول الله ! إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ، ثم نغوّر ما عداه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ، فنشرب ولا يشربون

قال النبي (ص) : لقد أشرت بالرأى

« يتقدم المسلمون »

(المنظر الحادى عشر)

« فى بدر على الماء الأدنى من القوم »

سعد : يا نبى الله ! ألا نبني لك عريشاً من جريد تكون فيه ، وتعدّ عندك ركائبك ، ثم تلق عدونا ، فان أعزّنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله مانحن بأشد لك حباً منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية ؛ ولو ظنوا أنك تلق حرباً ما تخلفوا عنك إنما ظنوا أنها العير ، عنمك الله بهم ويناصحونك ، ويجاهدون معك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— أو يقضى الله خيراً من ذلك ياسعد

(المنظر الثانى عشر)

« قريش فى الجحفة فى طريقهم الى بدر »

رسول — يا معشر قريش ! قد أرسلنى اليكم أبو سفيان إنه قد نجا بالعير ، فارجعوا فأحرزوا عيركم

أبو جهل — سوءة لك ! والله لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم عليه ثلاثة أيام ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسق الخمر وتعزف علينا القيان ، فلا يزالون يهابوننا أبداً

الرسول — هذا بغى ، والبغى منقصة وشؤم

أبو جهل — سُه ، قطع الله لسانك

الأخنس — لقد صدق الرسول ، وأنا راجع بقومى

(لقومه) — يابنى زهرة ! قد نجى الله أموالكم وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جبنها ، وارجعوا فانه لا حاجة بكم الى أن تخرجوا فى غير منفعة

« ضجة وهياج ولغط ... ينفرد الأخنس بأبى جهل »

الأخنس — أترى محمداً يكذب ؟

أبوجهل — ما كذب قط ؛ كنا نسميه « الأمين » ، لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شىء يكون لنا ؟

الأخنس — أنت والله تحسده

« يرجع الأخنس وبنو زهرة »

عمير بن وهب (قادماً) — يا معشر قريش ! لقد ذهبت فى الوادى ، أحزر أصحاب محمد ، أنظر هل للقوم كمين أو مدد فأبعدت فلم أر شيئاً ، وأنهم لثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكنى رأيت البلايا تحمل المنايا : نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ؛ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن ينقلبوا إلى أهليهم ؛ زرق العيون كأنهم الحصى تحت الجحف ، ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ؛ والله ما نرى أن نقتل منهم رجلاً حتى يقتل رجل منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ! فروا رأيكم

حكيم بن حزام (لعتبة) — يا أبا الوليد ! إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، فهل لك لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟

عتبة — وما ذاك يا حكيم ؟

حكيم — ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى

عتبة — هذا والله الرأى ، فادع لى الناس

« يدعو الناس »

عتبة (خطيباً) — يا معشر قريش ! انكم والله ماتصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ؛ والله لئن أصبتموه لا زال رجل منكم ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه وابن خاله ، ورجلا من عشيرته . ارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك كفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون . أى ياقوم ! إعصبوها اليوم برأسى وقولوا : جَبن عتبة ، وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم .....

يا قوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرى وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك . يامعشر قريش ! أنشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات

« يسكت عتبة ويلغط القوم لغطاً شديداً »

رجل — نعما يقول أبو الوليد !

آخر — هو والله الرأى

آخر — عتبة سيد الناس فأطيعوه

عتبة (لحكيم) — انطلق الى ابن الحنظلية

« يذهب حكيم »

حكيم (لأبى جهل) — إن عتبة أرسلنى اليك لترجع بالناس ، وهو يحمل دم حليفه ابن الحضرى.

أبو جهل — أهو يقول هذا ؟ والله لو قاله غيره لأعضضته إنتفخ والله سحره ! كلا والله ، لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد

« يرسل أبو جهل الى عامر بن الحضرى »

أبو جهل (لعامر) — هذا حليفك ، عتبة بن ربيعة يريد أن يرجع بالناس ، ويخذلهم عن القتال . وقد تحمل دية أخيك من ماله يزعم أنك قابلها ، ألا تستحى أن تقبل الدية من مال عتبة ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فاذكر مقتل أخيك

« عامر يتكشف ويحثو عليه التراب »

عامر (صائحاً) — واعمراه ... واعمراه !

« يهيج الناس ويتحمسون »

حكيم (لعتبة) — لقد أثارها

عتبة — دعه فسيكون شؤماً وبلاء على قومه .

(المنظر الثالث عشر)

« اشتعلت الحرب وقتل المسلمون عتبة وشيبة والوليد ورجع سراقة وكان قد أجارهم من كنانة »

أبو جهل — يا معشر الناس ! لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد ، فانهم قد عجلوا ، واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . .

يا معشر قريش ! لا تقتلوهم . خذوهم أخذ اليد

« يخرج رسول الله من العريش فيحض الناس على القتال »

— أما والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة

« عمير بن الحمام يأكل تمرات فى يده »

عمير — بخ بخ ... ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ فان حييت حتى آكل تمراتى

« يلقى التمرات ويقدم »

عمير (هاجاً)

ركضاً الى الله بغير زاد
إلا التقى وعمـــل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضـة النفاد
غير التقى والبر والرشــاد

« تزداد الحرب اضطراماً »

(المنظر الرابع عشر)

« قريش تنهزم ، ابن مسعود يفتش بين القتلى عن رجل »

عبد الله — هل أخزاك الله ياعدو الله ؟

« يضع رجله على عنق أبى جهل وهو على آخر رمق »

(المنظر الخامس عشر)

أبو جهل — وبم أخزانى ؟ أعار على رجل قتلتموه ؟ اخبرنى لمن كانت الدبرة لنا أو علينا ؟

عبد الله — بل لله ولرسوله !

« فى الحرم وقد جلس أبو سفيان وأبو لهب فى نفر من قريش ينتظرون الأخبار ... »

أبو لهب ... هذا ابن عبد عمرو ! ماوراءك يا ابن عبد عمرو ؟

ابن عبد عمرو — فنيت قريش ! قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأمية بن خلف ... ... لقد ظهر الاسلام ! فسيظل غالباً الى يوم القيامة ... !.. وذلت الأصنام فلا تعز إلى يوم القيامة... ..!

على الطنطاوى



آنساتنا والثقافة الأجنبية

ثار أخيراً فى مجتمعنا الأدبى حوار طريف ، بين الكاتب الفكه الأستاذ فكرى أباظه وبين بعض آنساتنا المثقفات ؛ فالأستاذ ينعى على أولئك الآنسات المثقفات أنهن برغم ثقافتهن الواسعة فى الفرنسية والأدب الفرنسى ، لم يزودن بأى قسط من العربية والأدب العربى ، وأنهن يكدن يعجزن عن أن يعربن عن آرائهن بالعربيــة ، وأنهن يبالغن فى الانصراف إلى الفرنسية وإلى الكتابة بها . وقد حاولت إحدى الآنسات اللائى يوجه إليهن هذا اللوم ، وهى من أعضاء الاتحاد النسائى المصرى أن تدافع عن موقفهن ، فضربت مثلاً باحدى زميلاتها وقالت إنها تعلمت فى باريس ، ولم تعرف مصر إلا فتاة ناشئة فلا جناح عليها إذن ، والتبعة فى ذلك — إن كان ثمة تبعة — تقع على أسرتها ؛ ثم قالت : إن أولئك الآنسات يكتبن بالفرنسية لكى يسمعن صوت المرأة المصرية إلى الخارج ، وأن العربية لا تقرأ فى باريس ولا لندن ولا برلين

ونحن نؤيد الأستاذ فكرى أباظه فى ملاحظته كل التأييد فأولئك الآنسات اللائى يعتصمن بالثقافة الأجنبية يذهبن فى هذا الاعتصام الى حد الاغراق ، وإلى حد الانفصال عن البيئة المصرية والمجتمع المصرى ؛ وفى رأينا أن مثل هذه الثقافة الأجنبية تفقد كثيراً من قيمتها لأنها لم تقترن بقسط من الثقافة العربيــة السليمة ؛ ولسنا ندرى ما المانع فى أن تمثل الثقافتان معاً ؟ ذلك أن من المحزن أن نرى أولئك الآنسات يكدن يعجزن عن الافصاح عن أفكارهن بالعربية العادية فضلا عن الكتابة بها ، وليس صحيحاً أن قضية المرأة المصرية تخدم فقط عن طريق الكتابة بالفرنسية ، لأن الفرنسية تقرأ فى برلين ولندن ، فالمرأة المصرية بحاجة إلى التحدث إلى أبناء جنسها أولا وقبل كل شىء ، وقضية المرأة المصرية (إن كان ثمة لها قضية) يجب أن تبث فى مصر أولا وباللغة العربية قبل كل شىء ؛ ولسنا نعرف فى الواقع مثلا لهذا النوع الغريب من الثقافة فى أى بلد متمدين ؛ ففى الغرب لا يمكن أن يحول أى عذر دون تذوق الثقافة القومية ، وإذا نهل الراغبون من أية ثقافة أجنبية ، فهى دائما إضافة فقط إلى جانب الثقافة القومية ؛ ولم نسمع بأن مستشرقا ممن يفنون أعمارهم فى دراسة اللغات والآداب الشرقية قد أعجزه تعلم العربية أو الفارسية عن الكتابة بلغته الأصلية ؛ كذلك يجب ألا يغيب عن ذهن أولئك الآنسات أن هذا الاعتصام المحزن بثقافة أجنبية يجعلهن فى شبه عزلة من المجتمع المصرى الصحيح ، ويحرم القضية التى يدافعن عنها من كثير من العطف القوى وهو ألزم لها من أى عطف أجنبى ، وان تلك الصلة الروحية التى أنشأتها الطبيعة بين المرء ولغته الأصيلة وماضى أمته وتراثها العقلى هو خير دعامة فى صرح الوطنية الصحيحة والعزة القومية الأثيلة

تاريخ الأديب

كتب الكاتب الفرنسى الكبير بيير بنوا عضو الأكاديمية الفرنسية كلمة يصور فيها تاريخ « الأديب » . وفى رأيه أن الأديب لم ينشأ محترفاً بطبيعته ، ولكنه قطع زهاء عشرين قرناً قبل أن ينتهى إلى هذه النتيجة ؛ فمنذ العصور القديمة ، أعنى منذ فرجيل وهوراس ، وفى خلال العصور الوسطى والعصر الحديث نجد الأديب « هاويا » ينساق إلى ميدان الأدب بفطرته وذوقه ، وتحقيقاً لهواه وشغفه ؛ وقلما نجد أديبا أو مفكراً يعمل ليعيش من قلمه ؛ بل كان كل من هنالك من كتاب وشعراء ومؤرخين يعيشون فى كنف الأمراء والكبراء ويلوذون جميعاً برعاية ملك أو عظيم من العظماء ، يتخذون مكانهم فى بطانته ، ويعملون له كمستشارين أو مدبرين ، وإلا عاشوا على مديحه وملقه ، أو يتخذهم معلمين لأولاده ، أو بوقاً لوحيه ؛ وقلما نجد كتاباً كتب فى هذه العصور إلا وقد صدر باهداء وتحية رقيقة لملك أو عظيم ، وليس معنى ذلك أن الأديب لم يكن يكسب من قلمه ، فقد كان ثمة أدباء يكسبون من ثمرات قرائحهم وأقلامهم ، ولكنه كسب ضئيل جدا ، لم يكن ليصلح لهم قوتاً أو حياة ؛ ولنذكر على سبيل التمثيل أن راسين قد باع مخطوطه «أندروماك»

بما يساوى ألفا ومائتى فرنك . ويستخلص مسيو بيير بنوا من ذلك أن الأديب المحترف لم يخلق مختارا فى المجتمع ، ولكنه بدأ « هاوياً » ، لا تمنعه عبقريته من أن يكون فقط من ذوى الهوى والشغف ، وهذا الهوى مازال يؤثر أكبر تأثير فى تكوينه وفى مصايره

نقول ، وهذه الصورة التى يقدمها بيير بنوا عن تاريخ الأديب فى بلاد الغرب ، ليست بعيدة عن الصورة التى يمكن أن نقدمها عن تاريخ الأديب فى الشرق ؛ فقد نشأ الأديب فيه أيضاً هاوياً يعيش فى كنف الأمراء والعظماء ، ولم يتقدم فى سبيل الكسب إلا بعد عصور ؛ بيد أن الكسب الأدبى لم يكن أساسياً فى عبقريته أو إنتاجه ، ولم يكن قوام عيشه وحياته

ترجمة لجالسورزى

منذ نحو عام ونصف توفى جون جالسورزى عميد الكتاب القصصيين الانكليز ورئيس نادى القلم الانجليزى ؛ ومن ذلك الحين يعنى جماعة من أصدقائه بوضع كتاب جامع عن حياته ، وقد صدر هذا الكتاب أخيراً بعنوان « حياة جون جالسورزى ورسائله Life and letters of J. Galsworthy » بقلم الكاتب والنقادة المعروف مستر هـ . ماروت ، وهو مجلد ضخم فى نحو تسعمائة صفحة ، ولكنه ليس بالكثير على رجل كان فى طليعة القادة والزعماء فى الأدب الانكليزى المعاصر . وفى حياة جالسورزى ما يستوقف النظر ، فهو لم ينشأ كاتباً ولا قصصياً ، ولم ينزل ميدان الكتابة إلا بعد أن طوى مرحلة الشباب ؛ وقد هام فى صباه بالرياضة والرحلات ، وكان أول عهده بهوى الكتابة رحلة قام بها فى البحار الجنوبية ؛ وشاءت الأقدار أن يلتقى على ظهر السفينة التى أقلته ببحار فتى بولونى يدعى يوسف كونراد ، وقد كان هذا البحار الفتى أديباً ، وشاءت الأقدار غير بعيد أن يغدو كاتباً شهيراً ، وأن يكتب بالانجليزية قصصاً رائعة ؛ وكانت صحبة تاريخية بين الكاتبين العظيمين ، وكان لقاء له أكبر الأثر فى تطور حياة جالسورزى

وثمة ظرف آخر كان له فى حياة جالسورزى وفى تكوينه الأدبى أكبر تأثير ، ذلك هو حبه لزوجه ؛ وهو حب كان يشوبه الحزن والألم لما كانت تلقاه هذه الزوجة العزيزة من صنوف الأوصاب المبرحة ، وقد أذكى هذا الظرف المؤلم عاطفة الحب عند جالسورزى ، وأذكى مشاعره الانسانية ، فغدا نصير الكلومين والبؤساء ، وأضحى القلم فى يده أداة للتعبير عن هذا الحب الانسانى ؛ وهكذا أضحى جالسورزى مصلحاً وزعيما إنسانياً . ويقال إنه كان ينفق نحو نصف دخله لغوث المنكوبين والبؤساء

هذه الظروف والمواقف المؤثرة فى حياة جالسورزى يعرضها مستر ماروت عرضاً قوياً بديعاً ، ويورد خلال حديثه الكاتب عشرات الرسائل التى لم تنشر من قبل

جائزة فينا لسنة ١٩٣٥

منحت جائزة « فينا » الأدبية الشهيرة عن هذا العام لسيدة شاعرة ، هى الكاتبة والشاعرة الفرنسية كلود سياف أو الكونته دلافوريه ديفون ، وقد نالت السيدة هذه الجائزة بكتابها المسمى « البركة Bénédiction » ، وهو قصة شعرية لقصر قديم ترويها سيدة قارئة فى زاوية سحيقة من زوايا القصر ، وتذكر خلالها طائفة مدهشة من العجائب والخوارق ، وقد وصف الكتاب بأنه قطعة من الأدب الساحر ، وأنه صورة قوية للأدب النسوى ، يفيض رقة ورشاقة ، وهو مكتوب بالشعر الريفى القوى المؤثر ، وقد صرحت مؤلفته مدام سياف أنها ما كانت تنتظر قط أن يظفر كتابها بمثل تلك الجائزة الخطيرة ، لأنها تعتقد أن جمهور القراء قد انصرف منذ بعيد عن قراءة الشعر ، أما الآن فهى تعتقد أن الجمهور ما زال يحتفظ بذوقه الشعرى ، وأنه فى وسع المرء أن يكتب الشعر وأن يقدمه إليه

فى أدب الشباب

جرت مجلة « آلاباج » الفرنسية على أن تخصص فى ديسمبر من كل عام جائزة أدبية قدرها ألف فرنك (نحو خمسة عشر جنيها) تمنح عن أحسن قصة صغيرة يكتبها شاب دون الحادية والعشرين . وقد منحت هذه الجائزة هذا العام لطالب طب يدعى « آلان ليجيه » عن قصة كتبها وقدمها بعنوان « الخلاصة » ، وتشرف على تخصيص هذه الجائزة لجنة أدبية مكونة من عدة من أعلام الكتاب مثل جورج دوهامل ، وفرانسوا مورياك ، وبونار . وقد صرح مسيو دوهامل للصحفيين أن القصة التى منحت الجائزة هذا العام هى أحسن قصة للشباب قرأوها منذ أربعة أعوام . والظاهر أن سيكون لهذا الطالب القصصى مستقبل زاهر فى عالم الأدب

وزارة المعارف العمومية

إدارة السجلات والامتحانات

اعلان

بشأن مواعيد انعقاد الدور الأول للامتحانات العامة لسنة ١٩٣٦

أولا

الامتحـــان	بدء الامتحان التحريرى	آخر ميعاد لقبول الطلبات	الجهة التى تشترى منها الاستمارة	ملاحظـــات
شهادة الدراسة الثانوية القسم الثانى على النظام العام	١٣ يونية سنة ٣٦ الساعة ٣٠ر٧ صباحاً	أول فبراير سنة ١٩٣٦	المـدارس الثـانوية الأميرية	لا يتقدم إليه إلا من مضى على نجاحه فى القسم الأول عامان على الأقل وأتم الدراسة المقررة وسيكون الامتحان وفقاً لنظام العام الماضى
القسم الثانى على نظام تجهيزية دار العلوم للطلبة المتقدمين من الخارج	»	»	مدرسة دار العلوم بالمنيرة	يمتحن الطلبة بمدرسة دار العلوم بالمنيرة ويتقدم له كل من أتم الدراسة المقررة ومضى على نجاحه فى امتحان القسم الأول لتجهيزية دار العلوم عامان على الأقل ، ويشترط حفظهم القرآن الكريم بتمامه — واللغة الانجليزية الاضافية اختيارية
شهادة الكفاءة للتعليم الأولى للمعلمين	١٣ يونية سنة ١٩٣٦ الساعة ٣٠ر٧ صباحاً	أول فبراير سنة ١٩٣٦	مدارس المعلمين الأولية	يتقدم اليه طلبة الفرقة النهائية بمدارس المعلمين الأولية وغير مسموح بالتقدم إليه من الخارج
شهادة الكفاءة للتعليم الأولى للمعلمات	٦ يونية سنة ١٩٣٦ الساعة ٣٠ر٧ صباحاً	»	بمدارس المعلمات الأولية	يتقدم إليه طالبات الفرق النهائية بمدارس المعلمات الأولية وغير مسموح بالتقدم إليه من الخارج
الامتحان النهائى للمعلمات الراقية	»	»	»	يتقدم إليه طالبات الفرق النهائية بمدرسة المعلمات الأولية الراقية وغير مسموح بالتقدم إليه من الخارج

الامتحان	بدء الامتحان التحريري	آخر ميعاد لقبول الطلبات	الجهة التي تشترى منها الاستمارة	ملاحظات
امتحان الفنون الطرزية	٦ يونية سنة ١٩٣٦ الساعة ٧٫٣٠ صباحاً	أول فبراير سنة ١٩٣٦	بمدارس المعلمات الأولية	يتقدم إليه طالبات الفرق النهائية بأقسام الفنون الطرزية وغير مسموح بالتقدم إليه من الخارج
امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية	»	»	المدارس الابتدائية الأميرية	يتقدم إليه كل من أتم الدراسة المقررة وفاقاً للمنهاج المقرر بالمدارس الابتدائية الأميرية وسيكون الامتحان في مقرر السنوات الأربع في اللغتين العربية والأوروبية والحساب وفي مقرر السنة الرابعة فقط في المعلومات العامة والرسم

ويراعى في امتحانات شهادة الدراسة الثانوية وكفاءة المعلمين والمعلمات الاطلاع على النشرات الخاصة بمواد الامتحان المبلغة هذا العام للمدارس الأميرية وعلى المناهج المتبعة

ثانياً — يجب على الطالب أن يحرر بخط يده استمارة طلب الدخول والبطاقات الملصقة بها وأن يرفق بها ما يأتي :

(ا) رسم الدخول في الامتحانات وقدره جنيهان مصريان حوالة بريدية ولا تقبل الشيكات ولا أوراق البنك نوت

(ب) الاستمارة رقم ١ غير المدموغة (البيضاء) بعد استيفاء جميع بياناتها

(ج) ثلاث صور شمسية حديثة واضحة جيدة الصنع ، تلصق احداها بالصمغ في المكان المعين لها بالاستمارة المدموغة ، وتلصق الثانية ببطاقة تحقيق الشخصية ، وتلصق الثالثة بالاستمارة غير المدموغة في المحل المخصص فيها ، وذلك بعد كتابة الاسم في أسفل الاستمارة

(د) طلبة المعادلة في امتحان شهادة الدراسة الثانوية يطلبون الاستمارة الخاصة بهم (استمارة رقم ١ معادلة) من المدرسة الابراهيمية الثانوية

ثالثاً — من يتقدم إلى الامتحان من غير طلبة الفرقة النهائية أولم يكن مستوفياً جميع شرائط الامتحان يرفض طلبه

رابعاً — يجب على الطلبة قبل كتابة استمارة طلب الدخول في الامتحان وملحقاتها الاطلاع على الاعلان التفصيلي المدرج بالجريدة الرسمية بالعدد ١١٧ بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٥ والموجودة نسخة منه بجميع المدارس الأميرية والمدارس الحرة والمعلن بادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف بشارع الفلكي

خامساً — مراكز اللجان وجداول الامتحان وشرائط التقدم والتنبيهات والتعليمات كلها مبينة باعلانات الامتحانات المذكورة

الـكتب

الجزء الثانى من شرح الايضاح

تأليف الاستاذ عبد المتعال الصعيدى

أتمت المكتبة المحمودية التجارية طبع الجزء الثانى من شرح الايضاح فى علوم البلاغة للأستاذ عبد المتعال الصعيدى المدرس بكلية اللغة العربية ، وقد نهج فيه نهجه فى الجزء الأول من العناية بالألباب فى هذه العلوم دون القشور التى يعنى بها فيها ، وشرح شواهده ، ونسبتها الى قائليها ، وبيان ما دخل هذه العلوم من الأخطاء التى وقعت فيها ، ومن ذلك مسألة الوصل والفصل فقد جرى عبد القاهر على أنهما إنما يكونان فى الجمل دون المفردات ، وفى الواو دون غيرها من حروف العطف ، وجرى المتأخرون على أنهما يكونان فى الجمل وفى المفردات ، وفى الواو وغيرها من الحروف العاطفة ، فرد الأستاذ الشارح الحق فى ذلك الى نصابه ، وذكر أن العطف فى المفردات يجرى وراء اشتراكها فى الحكم ولو لم يكن هناك بينها مناسبة من المناسبات المعتبرة فى مسألة الوصل والفصل ، كما جمع بعض الشعراء بين الضب والنون فى وصف واد جمع بينهما فقال

زُرْ وادى القصر نعم القصر والوادى
فى منزل حاضر إن شئت أو بادى
ترقَى به السُّفْنُ والظُّلْمانُ حاضرةٌ
والضَّبُّ والنُّونُ والملاح والحادى

ولوجرت المفردات فى ذلك مجرى الجمل لما صح لهذا الشاعر عطف النون على الضب ، لأنهم يقولون فى الجمل إن الجمع بين غير المتناسبين فيها كالجمع بين الضب والنون ؛ وقد يحسن مراعاة تلك المناسبات بين المفردات فى الخيال الشعرى ، لأن الأمر فيه يجرى على الخيال لا على الحقيقة . وقد اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد الكميت :

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة وإن تكامل فيها الدل والشنب

فعقد نصيب واحدة ؛ فقال له الكميت ماذا تحصى ؟ فقال خطأك ، فانك تباعدت فى القول ؛ أين الدل من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة

لمياءُ فى شفتيها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفى اللثات وفى أنيابها بَرَدُ

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه

وكذلك عيب على أبى نواس قوله :

وقد حلفت يميناً مَبرُورَةً لا تكذبْ
برب زمزم والحو ض والصفا والمحصب

فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير متناسب ، وإنما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراها

وانما يحسن من ذلك مثل قوله تعالى (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) لما بين ذلك من تقابل التضاد ، وكذلك قول البحترى فى رثاء المتوكل :

ولم أنسَ وحش القصر إذ ريعَ سِربُهُ
وإذ ذُعِرتْ أطلاؤُه وجآذِرُهْ
تحمل عنه ساكنوه فجاءة
فعادت سواء دوره ومقابره

ولكن ذلك كله يرجع الى محسنات بديعية ، ولا يرجع الى ما يجب فى اعتبار الوصل والفصل بين الجمل

وقد جرى الأستاذ الشارح على هذا المنوال فى تحقيق أمثال هذه المسألة ، فجزاه الله خيرا ، ومنح شرحه ذيوعاً ؟

« ص »

فى يوم ٥ يناير سنة ١٩٣٦ بجزية الطيارة تبع الوزيرية سوف يوهد منه بسوق بندر كفر الشيخ كطلب مصطفى ابراهيم من كفر الشيخ سياح عجلة بقر ملك أحمد ابراهيم محمود تنفيذا للحكم نمرة ٦٥٦١ سنة ١٩٣٥ كفر الشيخ فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ٨ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية أولاد سراج مركز ابنوب المجاورة لناحية الوسطى سياع علناً ٨ قراريط أعت خلقه ملك وجيه دقدوق تنفيذا للحكم نمرة ٥٤٧٨ سنة ١٩٣٥ جزئى أسيوط وفاء لمبلغ ٣٣٤ قرش صاغ بخلاف النفر كطلب على ابراهيم على من الوسطى

فعلى راغب الشراء الحضور

فهرس الموضوعات للمجلد الثاني من السنة الثالثة

فهرس الكتاب للمجلد الثانى من السنة الثالثة

اعلانات قضائية

محكمة ملوى الأهلية

اعلان بيع نشرة أولى فى القضية المدنية نمرة ٣٨٦٨ سنة ١٩٣٥ ملوى

إنه فى يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى المحكمة بملوى

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك محمد مأمون شقير التاجر بناحية نواى مركز ملوى مديرية أسيوط وبيانه كالآتى :

١٦ ط ستة عشر قيراط شيوعا فى فدان وتسعة قراريط وعشرة أسهم بحوض الغمر نمرة ١٢ ضمن القطعة ١ و ٢ منافع مصرف المحيط بزمام نواى مركز ملوى مديرية أسيوط . البحرى باقى القطعتين ١ و ٢ منافع باسم الحكومة بطول ٨ ١٦/٢٤ قصبة . والشرق بركات أحمد رجب وآخرين بالقطع من نمرة ٢ إلى ٥ و ١١ ، ١٢ ، ومن ١٢ إلى نمرة ١٩ بحوضه بطول ٥٠ ٢/٢ قصبة . والقبلى باقى القطعتين ١ و ٢ منافع باسم الحكومة بطول ٩ ١/٢ قصبة . والغربى باقى القطعة نمرة ١ منافع ملك مصلحة الرى بطول ٥٠ ١/٤ قصبة

١٦ ط فقط ستة عشر قيراط

وهذا العقار محكوم بنزع ملكيته من هذه المحكمة بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ بحكم مسجل بمحكمة الباقى ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ بنمرة ٦٢٠

وهذا البيع بناء على طلب الست شفيقة محمد شقير من بندر أسيوط ومحلها المختار مكتب حضرة الأستاذ محمد افندى أبو الحسن حموده المحامى بملوى . والبيع قسما واحداً ويفتح مزاده على مبلغ ٦٠ جنيه ستين جنيهاً مصريا الفدان وفاء لمبلغ ٢٣٨٤ قرش صاغ بخلاف المصاريف وما يستجد

فمن له رغبة فى المشترى الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه ومن يرسى عليه المزاد يدفع عشر الثمن وكامل المصاريف وإن تأخر يعاد المزاد على ذمته ويلزم بالفرق إن نقص وجميع الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يرغب الاطلاع عليها ؟ كاتب أول المحكمة

فى يوم السبت ٤ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية نوسا البحر مركز أجا ويوم الأحد ٥ منه بسوق نوسا الغيط سيباع علناً أردب ونصف أذرة شامى مقشر بكيزانه وحمار أحمر أزرق سن ٥ سنوات ملك عمر حسب النبى حسنة من الناحية نفاذاً للحكم الصادر من محكمة أجا الأهلية نمرة ٩٦ مدنى سنة ١٩٣٥ والبيع كطلب عبد الحميد محمد البلتاجى من الناحية المذكورة وفاء لمبلغ ١ جنيه و ٨٩٠ مليم بخلاف أجرة النشر وما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأحد ٥ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٦ صباحا بعزبة الكاشف تبع مركز اطسا وإن لم يتم يكون بسوق أبو جندير يوم الأحد ١٢ منه من الصباح للمساء بناء على طلب هنرى افندى ابراهيم أبو سيف التاجر بالفيوم سيباع علناً جرن أرز غير مدروس أمام منزل المدين من الجهة البحرية تقدر لما ينتج منه ٦٠ ستون أردبا أرز تقريبا ملك عبد الجليل سعداوى بعزبته تبع منشاه سيف النصر وفاء لمبلغ ١٥ جنيه و ٦٠٠ مليم بخلاف مايستجد نفاذاً للحكم رقم ١٠١٣ سنة ١٩٢٤ الفيوم

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأحد ٥ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية طهواى وفى يوم الأربع ٨ منه بسوق أشمون إذا لم يتم بناء على طلب مقطفة محمد أبو زيد من طهواى سيباع علناً كمية من الذرة بثلاثه محصول هذا العام تقدر بأربعة أرادب تقريبا ملك البسى محمد درار من طهواى وفاء لمبلغ ٢٧٤ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر نفاذاً للحكم نمرة ٢٦٣٦ سنة ١٩٣٥ أشمون

فعلى راغب الشراء الحضور